الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية.

قسم الفلسفة

تخصص فلسفة عامة وتعليمياتها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة عامة وتعليمياتها

موسومة بـ:

# الشك عند ديكارت

من إعداد الطالبة: تحت إشراف الأستاذ

مصطفى أمال "قويعش جمال الدين"

السنة الجامعية: 2012/2011.

## إهـــــداء

أهدي هذا العمل إلى:

**نبع العطاء الذي زرع الأخلاق بداخلي وعلمني طرق الارتقاء...إلى أبي أطال الله في عمره**

**نبع الحنان التي ساندتني ووقفت إلى جانبي حتى وصلت هذه المرحلة من التقدم والنجاح... إلى من تعجز الكلمات عن وصفها إلى أمي أطال الله في عمرها.**

**إلى جدتي العزيزة أطال الله في عمرها.**

**إخوتي: زينب وزوجها وأبنائها يوسف وملاي علي، محمد، صادق، عبد الناصر، أحمد الذي كان لي عونا ماديا في دراستي، عبد الصمد وخطيبته ميرة، سارة، سميرة، فاطمة، عبد الباسط.**

**إلى الأستاذ المؤطر "قوعيش جمال الدين"**

**رفاق الدرب " حنان، حفيظة، بختة، حليمة، سهيلة، خليدة،حبيبة، ابنت عمي ربيعة "**

**إلى كل صديقاتي بقسم الفلسفة.**

**إلى كل عم وعمة وأولادهم وإلى كل خال وخالة وأولادهم.**

**أهدي هذا الجهد المتواضع إلى كل من قال لا إله محمد رسول الله**

**سائلة المولى عزوجل أن يوفقني لما يحب و يرضى.**

**وإلى كل من أعرفهم ولم أذكرهم في مذكرتي**

**إليكم جميعا أهدي هذا العمل.**

## كلمة شكر

نشكر الله سبحانه وتعالى راجين مغفرته التي لا تحدها حد ورحمته التي وسعت كل شيء

وأتجه بالشكر إلى الأستاذ المؤطر قوعيش جمال الدين الذي أشرف على عملي هذا

كما أشكر كل من ساهم في تشجيعي على إنجاز هذا العمل من قريب أوبعيد

# المقدمة

## المقدمة:

يعد رنيه ديكارت Rene Dexartes من أعظم فلاسفة القرن السابع عشر ومن أوائل من ارتادوا الاتجاه العقلي، فصح أن يقال عليه أنه أبو الفلسفة الحديثة ومؤسس فلسفة الأفكار الواضحة المتميزة، وكان له أكبر الفضل في بناء صرح الاتجاه العقلي الحديث، ولذا جاء منهج الشك الديكارتي وليد فلسفته العقلية التي سايرت روح عصره وتأثرت إلى حد كبير بظروف مجتمعه السياسية والاجتماعية والفكرية، فلقد كان لمجيء الفيلسوف مؤشر إلى عهد جديد ساد فيه التغير والإصلاح، وقد اتخذ الفيلسوف من الشك منهجا لبلوغ غاياته اليقينية فلقد انتهج "ديكارت" الشك كوسيلة لبلوغ اليقين، لأنه شك إرادي يصطنعه الإنسان.

- وهو مؤقت في الوقت ذاته- لأنه يظل مستمر حتى يتيقن الإنسان من أفكاره قد بلغت حدا فائقا من الدقة واليقين وأنه لا يلابسها أدنى الشك، فكان لشك منحنى أخر مع "ديكارت" غير الذي كان قبله وهنا تظهر لنا الإشكالية التالية لماذا اختار "ديكارت" الشك كمنهج له؟ وكيف كان الشك الديكارتي؟ والتي تفرعت عنها إشكالية الجزئية بماذا تميز الشك مع ديكارت؟

وقد كان لفكرة الشك التي ظهرت عند "ديكارت" أصول ترجع إلى الفكر اليوناني الذين تناولوا الشك كالتفلسف فمنه ما ذهب إلى إنكار معرفة العقل والاعتراف بشهادة الحواس كما جاء في فلسفة "هير قليطس" وكذلك سفسطائين كما جاء الفلسفة الإيلية تستنكر أحكام الحواس وتثبت ببراهين العقل وحدة استحالة التغير، كما كان هناك من اتبع الشك المطلق الذي لا يؤدي إلى أية معرفة يقينية خارجة كما أنه لا مخرج منه كأمثال الشكاك وعلى رأسهم "بيرون"، فسار نهج الشك هذا إلى عصر النهضة الذي زاد فيه اهتمام مفكريه بالرجوع إلى مصادر المعرفة القديمة وعلى هذا كان لابد من التعرض لإعادة دراسة مذهب الشك عند البيرونين وإتباع الأكاديمية الأفلاطونية الجديدة، فكان ميشيل دي مونتني واحد من الشخصيات التي دعت إلى الشك في القرن السادس عشر الذي كان يهدف إلى تعريف الإنسان بجهله بطبيعته ومصيره، والذي كانت معه إرهاصات الشك خاصة في الحواس والتي تبلورت في فلسفة ديكارت.

كما أن التيار الفكري الفلسفي الإسلامي لم يكن بمعزل عن تيار الشك فكان له معتنقي هذا المذهب، فمسهم الشك واتخذوه كمنهج لبلوغ اليقين فكان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي واحد من أبرز من انتهج الشك في فلاسفة الإسلام لبلوغ اليقين والذي تأثر به "ديكارت" في العصر الحديث كثيرا.

ولقد اعتمدت في معالجة إشكالية الشك الديكارتي على المنهج التاريخي التحليلي بحيث عرضت كرونولوجيا للشك السابق على ديكارت وكيف تأثر ديكارت بالغزالي وبتحليل المنهج الشك الديكارتي، هذا وكان من أهم الأسباب التي دفعت بي إلى اختيار الموضوع هي كيف كان المنهج الشك عند "ديكارت" الذي ارتبط به اسمه كثيرا وما هي مميزات هذا المنهج الشكي عنده عن الأخرين، وسبب أخر هو ميولي الذاتي إلى دراسة الفلسفات الحديثة بخاصة، هذا وقد واجهت صعوبات متعددة كضيق الوقت وعدم توفر المكتبات على مصادر لكتب "ديكارت" وكذلك عدم التمكن من اللغة الفرنسية.

ولضرورة المنهجية قمنا بتقسيم العمل إلى ثلاثة فصول تناولنا في الفصل الأول الذي قسمناه إلى أربعة مباحث قدمنا في الأول نبذة عن حياة ديكارت وأهم مؤلفاته وفي الثاني عرضنا تطور تاريخي للشك منذ الفلاسفة اليونان أما في المبحث الثالث وضحنا تأثر ديكارت بالغزالي في منهجه الشكي وفي المبحث الرابع قدمنا مفهوما للشك. أما في الفصل الثاني الذي تحدثنا فيه عن منهج ديكارت فأبرزنا في المبحث الأول كيف ساهمت الرياضيات التي كان يؤمن بها الفيلسوف كثيرا في تأسيس منهجه، وتناولنا في المبحث الثاني: قواعد منهجه بتحليل وأعطينا أهم أسس منهجه في المبحث الثالث وفي المبحث الرابع أبرزنا مميزات المنهج الديكارتي، وأخير في الفصل الثالث الذي احتوى هو كذلك على أربعة مباحث التي عرضنا فيها كيف كان الشك عند ديكارت وكيف مارسه يظهر هذا في المبحث الأول الذي تناولنا فيه اشتغال الشك الديكارتي، وفي المبحث الثاني كيف كان لشك طريق لبلوغ اليقين هذا اليقين الذي يبدأ من أول نقطة له كانت معلنة نهاية الشك مطروحة في المبحث الثالث وفي المبحث الرابع أبرزنا كيف توصل ديكارت إلى بلوغ اليقين في مواطن مختلفة.

# الفصل الأول

# ديكارت وبداية التقدم الفلسفي الغربي الحديث

## تمهيد:

إن تاريخ الشك هو تاريخ عمر الإنسان، ومولده هو مولد معرفته، نفسها، فالنزوع إلى الشك ملازم للمعرفة، لاحق لها، ومع أن هذه النزعة تنطوي على معنى سلبي وتوقف عن الحكم في شكلها العام بيد أنها تعد مدخلا ضروريا ليقين العلم وتقدم المعرفة ذاتها، فلا وجود لمعرفة حقة بدون شك الذي يكون يبحث عن الحقيقة ويشهد تاريخ الفكر الفلسفي ظهور فلسفات شك عديدة، فقد كانت لفكرة الشك التي ظهرت عند "ديكارت" جذور وسوابق ترجع إلى الفكر اليوناني والإسلامي، غير أنها خرجت في شكل جديد مع ديكارت ويهدف بناء في سبيل إقامة نسق فلسفي حديث: يخالف الأنساق الفلسفية السابقة عليه. لأن الفلسفة عنده أرادة أن تمضي إلى العمل والتطبيق رامية إلى التغير الجذري والتأثر الحاسم.

# المبحث الأول
# نبذة عن حياة ديكارت

## نبذة عن حياة ديكارت ومؤلفاته.

عاش ديكارت حياة حافلة بالحركة والنشاط، بالعزلة والإنفراد، بالانفعالات والهدوء، حياة زاخرة بالفكر مشوبة بالتجارب، خصبة بالتأمل، منذ طفولته ولد في 31 مارس عام 1596 بمدينة لاهي La Haye، كان أبوه "جواشيم ديكارت" مستشارا في برلمان "رن" Ronnes عاصمة إقليمية برتياني في شمال غربي فرنسا [1].

درس بمدرسة شهيرة من مدارس أوروبا، هي مدرسة "لا فليش" للأباء اليسوعين عام 1960 مكث بها ثمان سنوات ودرس فيها الكثير من العلوم، كاللغات القديمة والمنطق والأخلاق والرياضيات والميتافيزيقا والفلسفة، تأثر في هذا الوقت بأراء أساتذته اثنين هما الأب "مرسين" وفرانسوفيرون [2].

ومن 1613-1629- قضى هذه المرحلة في الأسفار منتقلا بين فرنسا وسويسرا وهولندا وإيطاليا، وقصد باريس عام 1913 والتقى بالعالم الرياضي "ميدروج" كما التقى بصديقه وزميله الأب "مريسن" وهناك واصل دراسة القانون وحصل على إجازة الحقوق 1616، وفي عام 1618 سافر إلى هولندا والتحق بجيش "موريسن دى ساو" لكنه لم يشارك في أي قتال وفي هولندا التقى بالعالم الرياضي "إسحاق بيكمان" فصادقه وخلال عام 1619 إلى 1620 عايش ديكارت تجربة عقلية فريدة، عزل فيها نفسه عن الناس وعكف يتأمل ويمعن الفكر في خواطر أدت به إلى نظريته العامة في المنهج للبحث عن العلوم، وقيل أنه اكتشف في تلك الليلة أسس العلم "وقد تضاربت الأقوال حول هذا العلم هل كان يقصد به قواعد المنهج" أم الرياضية أم أنه الكوجيتو [3].

ترك ديكارت حياته العسكرية والحروب في أوروبا، وذهب لزيارة إيطاليا ومنها سافر إلى باريس حيث استقر بها ثلاث سنوات، لكن بعدها قرر أن يعيش في هولندا وخلال العشرين سنة التي قضاها هناك كتب إنتاجه الفلسفي توفي سنة 1650.

---

[1]- رواية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، درا النهضة العربية، بيروت سنة 1996- طبعة الأولى ص 37.
[2]- الشيخ كامل محمد محمد عويضه، ديكارت رائد الفلسفة الحديثة دار الكتب العلمية لبنان سنة 1993- طبعة الأولى ص 7.
[3]- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، سنة 2006 [ب ط] ص 78.

- **مؤلفاته**

ترك هذا الفيلسوف الفرنسي عددا من الأعمال التي شغلت العالم حتى نهاية القرن العشرين وكانت مؤلفاته على النحو الأتي:

- العالم 1630 ولكنه لم ينشره في ذلك التاريخ بسبب محاكمة رجال محاكم التفتيش في أوروبا لجاليليو عام 1632، والكتاب في عمومه رسالة في المنطق الجديد المعارض للمنطق الأرسطي التقليدي القديم، ويعرف باسم "قواعد لهداية العقل" [1] .
- مقال عن المنهج، لم يظهر هذا الكتاب حين نشره للمرة الأولى لكتاب مستقل وإنما كمقدمة لثلاثة كتب نشرت معه وهذه الكتب:

البصريات optiques، أو انسكار الضوء (Dioptrique ).

الأثار العلوية Metores.

الهندسة التحليلية le gcometrie Analytique.

- تأملا في الفلسفة الأولى 1941 تدور موضوعاته حول براهين وجودا لله، وخلود النفس.
- مبادئ الفلسفة 1641 عرض فيه فلسفته عرضا عاما، وبين ما بينها وبين الفلسفة القديمة من تعارض.
- رسالة في الانفعالات 1650 وهو كتاب في علم النفس، أشار فيه إلى ما يتصل بالإلهيات[2] .
- الخواطر الخاصة 1669 وهي خواطر شخصية، وتأملات خاصة بالفيلسوف دونت في صورة مذكرات في كراسة باسم "الأفكار الخاصة".
- ملخص الموسيقى (Musica compenduim) وهو مخطوط اهتم فيه بدراسة فن الموسيقى وصلته بالإنسان.
- الأولمبيات 1619 olympia وهي كراسة صغيرة على غرار المذكرات التي كتبها وهذه المؤلفات عبارة عن مجموعة من المخطوطات كتبها في مطلع حياته العلمية.

[1] - ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 2008، [ب ط]، ص ص 66-67.
[2] - راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية ص 63.

- رسالة في العالم والضوء (le Monde) وهي كرسالة التي أهداها إلى العالم، وقد انتهى منها 1962 وكان على وشك نشرها غير أنه امتنع عن ذلك خشية بطش الكنيسة، إذ كان قد أثبت فيها عن طريق البراهين العلمية دوران الأرض حول الشمس، وكانت هذه النقطة محور البحث في جميع أجزاء الرسالة [1] .

1 - المرجع السابق ص ص 63-64.

# المبحث الثاني
# كرونولوجيا للشك

## كرنولوجيا تاريخية للشك

لقد احتل مذهب الشك (sceptiasm) مكانا هاما في الفلسفة الحديثة، إلا أن جذوره كانت تمتد منذ فجر تاريخ الفلسفة والعلم، ويختلف مفهوم الشك في اللغة اليونانية عنه في العصر الحديث، فقد كان يعني لدى اليونان البحث والتنقيب والتقصي أو الاختيار والاستطلاع، والشك بمعناه الصحيح يعد مبدأ أو قاعدة لكل تفلسف جاد، ثم تغير معناه حتى وصل إلى الشك التام أو المذهبي أو الإرتيابي الذي ينكر صاحبه من خلاله إمكان المعرفة، أو غياب اليقين العلمي أو الديني[1] .

ولقد كانت لفكرة الشك التي ظهرت عند "ديكارت" جذور سوابق ترجع إلى الفكر اليوناني، وإن كانت الفكرة ذاتها عند "ديكارت" قد ظهرت بشكل جديد ويهدف بناء في سبيل إقامة نسق فلسفي حديث، يخالف سائد الأنساق الفلسفية السابقة عليه ويتبين هذا من خلال نماذج من فلسفة الشك عند بعض الفلاسفة اليونان:

أكسينوفان: (Xenophanes)

لقد بزغ فجر الشك عند اليونان ممثلا في فكر "أكسينوفان" الشاعر والمفكر اليوناني الذي عاش في قولوفون (570- 475 ق م) وكانت له أراء طريفة عن الطبيعة يذكر عنه أنه هاجم ألهة "هوميروس" وهاجم فكرة تشبيه الله بالإنسان باعتبارها فكرة خاطئة، مؤكد أن الله واحد، لا يشبه البشر لا في البدن ولا في الفكر لكن عقله يحرك جميع الأشياء بما يحتويه من فكر، ولقد ذهب إلى "أن اليقين الكامل فوق إدراك الإنسان لأن فوق الأشياء ظاهر يخفي حقائقها".

الايليون Eleaties

أطلق اسم الايليون أول ما أطلق على الفيلسوف "بارمنيدرس" وتابعه "زينون" عاش أتباع هذا المذهب في إيليا يتلخص مذهبهم الذي ينطوي على بذور الشك في أن الواقع الحقيقي واحد غير متغير، وعلى هذا فقد اعتبروا عالم المحسوسات عالم وهم وخداع، ومما يذكر عنه أنه وضع حجة ضد الإحساس فحواها، أننا ندرك عن طريق إحساساتنا كثرة من الأشياء،

2 - إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، إسكندرية، سنة 2000، [ب ط] ص 85.

غير أن هذه الأشياء سرعان ما تتغير ولما كان ذلك مستحيلا وفقا لمبادئ المذهب الإيلي فسيصبح، الإدراك الحسي باطلا.

هير قلطيس (Heraclitus)

عاش في أفسوس مدينة يونانية في أسيا الصغرى 500ق- م كان يرى أن وحدة العالم تكمن في تركيبه وسلوكه، أكثر مما تكون في مادته، وفسر المادة الأولية بالنار التي تتحكم في "التحولات" التي تنتقل بها كل مقوم إلى غيره في الكون وهي (مقومات ثلاث كبرى هي: النار والماء والأرض).

النار أدل شيء على التغير في مذهبه، والتغير أو (الصراع كان ضروريا للتوحيد الدائم بين الأضداد) وهكذا وضع "هير قلطيس" بفلسفته عن التغير والصيرورة بذور مذهب الشك الأولى.

السوفسطائين: saphistes

أما السوفسطائين نادوا بنسبية المعرفة، فالإنسان مقياس الأشياء جميعا كما تشككوا في العقائد والأفكار والعرف السائد، وفي المعرفة والقيم وكذلك تشككوا في الديمقراطية الأثنية وادعوا نسبية القوانين والعدالة والأخلاق والدين في المجتمع وكان هؤلاء المتشككون يتجادلون بصفة دائمة، فقد كان الدفاع عن الحق لا يعير اهتمامهم بقدر الانتصار للفكرة مهما كان الثمن، فكانوا يضللون ويفسدون الحقائق

وكان دفاع السوفسطائين يشمل الدفاع عن الفكرة أو ضدها، مادامت تتحقق من ورائها منفعة ذاتية، فاستخدموا المنطق بصورة خاطئة، وكان حماسهم للمعرفة من أجل نشر مبادئهم، والانتصار على الخصوم [1] .

ومن أشهر السوفسطائين بروتاغوراس وجور جياس

برو تاغوراس ولد 500ق - م ومن أقواله المأثورة: الإنسان مقياس الأشياء جميعا، مقياس ما يوجد منها وما لا يوجد وتعني هذه العبارة في مذهبه انتقاد الموضوعية في الأشياء وانسحاب النسبية على المعرفة والحقائق، ومذهبه في الشك مبني على خداع الحواس

3 - راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة الحديثة، ص ص 107-108.

جورجياس: فمنطوق مذهبه يعني أنه لا يوجد شيء على الإطلاق وإذا وجد فلا يمكن معرفته.

**سقراط، socrates (470- 399 ق- م)**

وجه اهتمامه إلى البحث عن الحقيقة في ضمير الإنسان وخلقه، ووفق في مواجهة مذهب الشك، ونادى بتطهير المعرفة واللغة مما لحق بها من فساد. فقد حمل على عاتقه مهمة الدعوة لرسالته الأخلاقية، في مجتمع أفسده السوفسطائين وكان سقراط يدعو الإنسان إلى المعرفة بالحقيقة وأول هذه المعارف "أن يعرف نفسه بنفسه"، ويتمسك بالفضيلة التي كانت شعارا له يقول عنها: "الفضيلة علم والرذيلة جهل". ومع ذلك فقد ذكر عن سقراط قوله: أنا لا أعرف شيئا وهذا هو كل ما أعرف وقد فهم المؤرخون من معنى هذه العبارة أن منهجه منطويا على ثمة بذور للشك.

**أفلاطون: Aphlaton (468- 438 ق- م)**

تعد فكرة المثالية الأفلاطونية، في الترفع عن عالم المادة والتطلع إلى عالم مثالي ينطوي على الحق والخير والجمال المطلق إشارة صريحة إلى التصدي للحس والإرتياب فيه، وعلى الرغم من أن أفلاطون قد حذا حذو معلمه "سقراط" في البحث عن الحقيقة واليقين، بل زاد عليه بالارتفاع إلى عالم المثل، لكن شكه في عالم الحس قد انطوي على بذور شك التي أخذت طريقها عند أتباع [1] .

الشكاك "بيرون" Pyrohn (325- 675 ق-م).

يرى "بيرون" أن كل قضية يمكن أن تحتمل قولين فيمكن إيجابها وسلبها بقوة متعادلة، والحكمة تكون في العدول عن الإيجاب والسلب والتوقف عن الجدل ويرى "بيرون" أن الشك لا يتناول الظواهر، لكنه يتناول الأشياء في ذاتها غير أنه يتوقف عن الحكم النهائي على الأشياء، فهو على سبيل المثال يحس بالأشياء في حلاوتها أو مراراتها أو في درجة حرارتها أو درجة صلابتها وليونتها غير أنه يمتنع عن الحكم عليها.

وهكذا فليس هناك وجود لخير مطلق أو شر مطلق لأن الأشياء في زوال وتغيير ولهذا فأن الناس تتوهم إذ تضع السعادة في الشقاء في الأشياء ذاتها، ويركنون إليها كأنها دائمة، فإن

4 - المرجع السابق ص 112.

اقتنعوا بأن الأشياء ليست هي مصدر الخير والشر في حد ذاتها لتغيرها وزوالها انتهى تصديقهم لها. وحظوا بالراحة في أي حال وتحت أي ظروف، فالشك البيروني ليس شكا منطقيا ودليل ذلك أنه لم يذكر عنه انشغاله بالمنطق أو العلم الطبيعي.

وعندما توقف الشك البيروني، بدأ يظهر نوع جديد من الشك عند أتباع مدرسة أفلاطون الجديدة مثلا في "أرقاسيلاس" (316- ق-م241) و كارنيادس (214- 128ق-م) اللذين شككا في المعرفة ونافيا باستحالة المعارف اليقينية وأنه لا يمكن اكتسابها عن أي طريق، ورفضنا شهادة العقل والحس، كما أنكروا وجود أي مقياس للحقيقة، ومما يذكر عنهما، قولهما بالأحكام الاحتمالية التي كانت تعني: أن أي حكم أو قضية يمكن أن يصبح أكثر احتمالا من حكم أخر أو قضية أخرى وظلت جذور الشك تمتد تاريخيا تلك الجذور التي ألقى اليونان الأوائل بذورها وانتقلت عبر تاريخ الفلسفة إلى العصر الحديث ممثلة على وجه الخصوص في مذاهب "مونتني" و "شارون" في القرن السادس عشر ووصلت جذورها إلى القرن الثامن عشر فظهرت في مذهب "دافيد هيوم" (1711-1776) وتمتد حتى القرن التاسع عشر فتبرز في مذهبي "رينان" (1823- 1892) و"أناتول فرانس" [1] .

وبعد هذا العرض المختصر لمذهب الشك الخلفي عند "بيرون" ولمذهب الاحتمال عند أتباع الأكاديمية الجديدة، هناك نوع أخر من الشك هو الشك الجدلي عند أنا سيداموس:

وقد اشتهر أنا سيداموس بحججه العشر، التي أورد فيها تبريرات تعليق الحكم في المحسوسات، وحججه الثلاث ضد العلم.

**أولا:** اختلاف أعضاء الحس في الحيوانات وفي الإنسان، وما ينتج عنه من تنوع في الاحساسات الخاصة، فحاسة الرؤية تختلف من عضو لأخر سواء في الحيوان أو في الإنسان تبعا للتركيب الفيزيولوجي للعين أو ضعف الأبصار وهذا نفسه بالنسبة لما يحدث لحاسة اللمس التي تختلف من إنسان لأخر ومن حيوان لأخر وحسب نوع الجلد، وهذا نفسه ما يحدث مع حاسة التذوق وغيرها من الإحساسات، ونتيجه لهذا التنوع والاختلافات في إدراك المحسوسات والتعرف الحقيقي عليها فقد علق "أنا سيداموس" الحكم في المحسوسات.

[1] - المرجع السابق ص ص 113-114.

**ثانيا:** فتذهب إلى أن الاختلاف بين الناس في أحوالهم الجسمية أو النفسية يتبع اختلاف إحساساتهم وأحامكهم، فإذا كانت الأغلبية لها المعرفة الحقيقة للمحسوسات لوجدنا أنها تختلف من بلد لأخر، ومن زمن أو عصر لأخر وفي هذا لا مجال للاختيار، وإذا رجعنا للتجربة فهي شيء لا يمكن أن تتناوله سائر الناس. في هذا لا مجال إلا تعليق الحكم.

**أما الحجة الثالثة:** تتعلق بتعارض الحواس بصدد معرفة الشيء الواحد فالشيء البارز في صورة ما أمام البصر يبدوا أملسا في حالة اللمس، كما أن الرائحة العطرة في حالة الشم قد تكون غير مستحبة في حالة الذوق، ولهذا فنحن لا نستطيع إدراك حقائق الأشياء وكل ما ندركه منها هو ظواهرها فحسب.

**والحجة الرابعة:** وفيها يقرر أن المبادئ التي يستند إليها أصحاب مذهب اليقين لتجنب التسلسل في البرهان، هي فروض غير مبرهنة فهي ليست أبين من نقائصها.

**أما الحجة الخامسة:** وفيها يقول أنه إذا أرادنا تجنب التسلسل، فليس لدينا سوى البرهان الدوري الذي يقيم المقدمة على النتيجة، والنتيجة على المقدمة فالبرهان ممتنع في كل الحالات [1].

فحجج "أنا سيداموس" الأوليتين خاصتان بالمعرفة الحسية، أما الحجج الثلاث فتتعلق بصورة المعرفة أو بأصول المعرفة العقلية، فالقسم الأول يهدف إلى أن اليقين غير موجود بالفعل، في حين أن القسم الثاني قد بين أن اليقين لا يمكن أن يوجد.

سكستوس أمبريقوس: (200- 250ق-م) من أتباع "أناسيداموس" ومعه تنتقل من الشك الجدلي الذي كان عند "أناسيداموس" إلى الشك التجريبي معه، فلقد اتخذ في مذهبه الشكي موقفا هادما سلبيا، وأخر إيجابيا يتمثل في تنظيم التجربة بالتجربة نفسها، بغير اللجوء إلى العقل أو الحكم على حقائق الأشياء.

لديه مؤلف هام هو "موسوعة المذهب الشكي" وفيه يلخص الحجج التي استخدمها المتشككون القدماء.

فلما تبين استحالة أية حقائق كلية ملزمة علمية ولاهوتية، وأخلاقية وغيرها فقد دعا الفلاسفة بالتوقف عن محاولة البحث للوصول إلى السلام والنعمة الكاملين للعقل، وهذا هو الهدف

[1] - راوية عبد المنعم عباس، د.صفاء عبد السلام جعفر، مذاهب فلسفية حديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 2003، [ب ط] ص ص 113-114.

الأمثل من الفلسفة، وعن حدود المعرفة الإنسانية فقد افترض الفيلسوف أن الإنسان إنما يتوجه في الحياة وفقا للحاجات الطبيعية والميول والعادات والقوانين، والتقاليد والحس المشترك.

# المبحث الثالث
# تأثر ديكارت بالفلاسفة المسلمين الغزالي نموذجا

## الشك عند الغزالي (نموذجا)

### نبذة عن حياته:

ولد "حجة الإسلام" الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي سنة (450هـ- 1059م) بمدينة طوس في خرسان وكان والده يشتغل بغزل الصوف، توفي وهو لا يزال صغير السن فوصى صديقا له من المتصوفة فرباه مع أخيه "أحمد" على العبادة والعلم، ولقد ظهرت على "الغزالي" أثار النبوغ والذكاء منذ الصغر وبدأ يبدي عدم اطمئنان إلى أدلة المتفقهين في شبابه، سافر إلى "نيسابور" التي درس فيها المذاهب واختلافها وتعلم الجدل والمنطق وقرأ الفلسفة، اشتغل منصب استاذا في المدرسة النظامية في بغداد سنة (484هـ - 1091) والتي اشتهر فيها، وفي بغداد درس الغزالي الفلسفة دراسة عميقة وألف كتابه "مقاصد الفلاسفة" والذي ألحقه بمألفه "تهافت الفلاسفة" لإبداء شكوكه في قمة العلم، وبراهينه المنطقية.

خرج من بغداد سنة (1095) بعد إتمام تهافت الفلاسفة. وقد أصيب بمرض شديد قطع عنه كل أمل في الحياة، وانكشف له أثناء ذلك مهمته الحقيقية فأخذ في تهذيب نفسه بالرياضة والتمارين الصوفية.

خرج الغزالي من بغداد قاصدا الحج إلى بيت الله الحرام. ثم انتهى من هذه الرحلة، وقام يؤلف كتابه: إحياء علوم الدين، ثم رجع إلى "نيسابور" ومات في موطنه سنة (505هـ- 1111م) [1].

**أهم مؤلفاته:** لقد ألف الغزالي العديد من الكتب لكن أهمها:

- مقاصد الفلاسفة. – ميزان العمل.
- تهافت الفلاسفة. – إحياء علوم الدين.
- معيار النظر. – المنقذ من الضلال.

1 - أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، د. جميل صليب، كامل عياد، مكتب النشر العربي، لبنان، سنة 1934، [ب ط]، ص ص 10-12.

## الشك لدى الغزالي

الشك في الفلسفة يقوم على محو الحقائق المتعارفة وتدارسها على ضوء مبدأ مطلق ثابت يعتبر مقياسا نهائيا دائما وهو السعي المنهجي وراء الحق.

بالارتكاز على حقيقة بديهية وعلة أصلية، تحدرت منها جميع الحقائق والعلل [1]

والغزالي اتبع منهجا مناقضا لمذهب فلاسفة العرب، فبديل أن يركز على العقل يظهر حدوده الطبيعية وتخومه المحصورة، راح يركز المعرفة على الإيمان، مبينا أن العقل لا يصلح أداة للمعرفة. ما لم يقم على الإيمان فإتخذ نور الإيمان الذي يقذفه الله تعالى نعمة في الصدر. نقطة الانطلاق ومبدأ المعرفة ثم اتخذ من هذا الفيض النوراني إلى العالم، ومن الإيمان إلى العقل، ومن الدين إلى الفلسفة، بخلاف ما فعل المفكرين السابقين، فنجد في كتابه المنقذ من الضلال: "وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وددني من أول أمري وريعان عمري، غزيزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي" [2].

فقد شاهد الغزالي اضطراب الفرق، واختلاف المذاهب وتباين الملل في زمانه فشبه ذلك ببحر غرق فيه الأكثرون فأحب أن يقتحم لجة هذا البحر العميق، ويخوض غمرته ويتوغل في ظلماته [3].

ولكن هذا كله كان بدافع في نفسه، وقد ولد هذا التباين في عقائد الفرق شكا فلسفيا لدى الغزالي وكان أول الشك عند الغزالي انحلال رابطة التقليد فيقول: "والتميز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تميز الحق منها عن الباطل اختلافات، فقلت في نفسي: أولا، إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي؟ هل يمكن الوصول إلى حقائق الأمور عن طريق التقليد؟ إن التقليد لا يفيد علما يقينا و لذا تجلت رابطته فلا مطمع في الرجوع إليه" [3] فلم يجد الغزالي في التقليد وسيلة لتميز بين الحق والباطل فيها، فكان لابد له من أن يبين طبيعة أو حقيقة العلم اليقين ما هي وذهب إلى تحديده في قوله: "فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشاف لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان

---

2 - الموسوعة، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، د. يوسف فرحات، تراد كسم شركة مساهمة سوسرية، جنيف، طبعة الأولى، سنة الأولى، سنة 1986 ص 122.

[2-3-] أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، د. جميل صليب، كامل عياد، مكتب النشر العربي، لبنان. 1934، ص ص 81- 82.

الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكا أو إنكارا" [1]

وبعد تحديده للعلم اليقين أخذ يفتش عنه أو عن علم موصوف بهذه الصفة فلم يجده في المحسوسات ولأن العلم أما أن يكون بالمحسوسات وأما بالعقليات، فالعلم بالمحسوسات لا أمان فيه ولا ثقة. فيقول فيها: "تنظر إلى الكواكب فتراه صغيرا في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار"[2].

ثم ذهب إلى العقليات، فوجدها كذلك فالعلم بالعقليات لا يقين فيه ولا ثقة، لأنه يمكن أن تطرأ على الإنسان حالة تكون نسبتها إلى العقل كنسبة اليقظة إلى النوم، كيف يثق بالعقل ويمكن للإنسان أن يكون كل ما اعتقده من جنس أو معرفة ما قد أطلعه عليه الحس، وبهذا كان العقل يكذب الإحساس، والإحساس يكذب العقل، حيث يقول الغزالي: "فقالت المحسوسات بم تأمن أو تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت وواثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي، فلعل وراء إدراك العقل حاكما أخر، إذ تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه" [3].

وقد ذهب الغزالي إلى تأيد هذا لاحتمال ما يراه في المنام، فقد يخطر لنا في المنام أمور وأحوال لا نشك بثباتها، ثم تخرج من المنام إلى اليقظة فتجد بأن لا توجد لها صحة، وليست سوى أمور متخيلة وأوهام، فتتبدد كل تلك المتخيلات فلربما طرأت على الإنسان يقول الغزالي حالة هي فوق العقل تكون نسبتها إلى العقل كنسبة اليقظة إلى المنام فمحتم أن ترد هذه الحالة وتصبح معرفة العقل بأسرها لا طائل تحتها، كما أنه يمكن أن تكون هذه الحالة الموت فيقول الغزالي: "ولعل تلك الحالة هي الموت"، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"[4] وإذا فقد تكون الحياة الدنيا نوما وينكشف الحق بعد الموت.

وقد دام داء الشكوك شهرين و "الغزالي" على مذهب السفسطة، حتى قذف الله في صدره نورا علويا، استطاع به أن يتخلص من ريبه وأن يلقى الطمأنينة إن الكشف وحده بأن يدرك

(1-2-3) الغزالي، المنقذ من الضلال. ص ص 85-86.
4 - يوسف فرحات، الموسوعة الفلسفية الإسلامية وأعلامها، ص 123.

أكثر المعارف، إنه مفتاح المعرفة، ولن يؤتي هذا المفتاح إلا من أمن بالنبوة وأقر بثبات طور فوق طور العقل. تنفتح فيه المدركات الخاصة والعقل معزول عن هذه المدركات.

فا للعلم اليقيني في رأي الغزالي طبيعة ذاتية حدسية أنه لم ينشأ عن العقل ولا هو نشأ عن طقوس الشرع، وإنما هو تجربة روحية قلبية ذوقية، والذوق وليد الإلهام وما هو إلهام النبي ذاته وإنما مماثل له، فبينه على التوكل إذ بالتوكل يكون الإيمان قوام اليقين، وقد ذهب إلى أن ما أوتي الأنبياء كان بطريق هذا الإلهام السماوي ولذا كانت النبوة موضعا للثقة والأمان.[2] ( ).

ولذا كان قد تعذر على الناس بلوغ هاته الحال التي وصل إليها النبي، فإن هناك نفرا من أهل الذوق الصوفي قد تمكنوا من الوصول إليها فكانت لهم كرمات الأولياء وهذا ما حول الغزالي عن مختلف الفرق ووجه إلى التصوف المعتدل المستمد من "نور النبوة".

وهكذا انتهى الغزالي إلى اليقين يكون بالإيمان، والعقل عاجز عن حل المعضلات الإلهية، وأن الإيمان مرتكز على الكشف الباطني والكشف الباطني هو مفتاح المعارف أو المعرفة وينبوع العقائد والعلوم الحقة.

[2]- يوسف فرحات. الموسوعة. الفلسفة الإسلامية وأحلامها ص 124.

**الشك بين الغزالي وديكارت**

لقد سبق "الغزالي" "ديكارت" في اتخاذ الشك لمنهج له، غايته من هذا الشك الوصول إلى اليقين، الذي يرى فيه بأنه علم ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يشوبه ريب، أي بأن لا يحد فيه الشك موضعا له، ويعبر عن استخدامه لمنهج الشك من خلال قوله: "لقد كان التعطش إلى دراك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله"[1].

فنجده قد شك في شهادة الحواس والخيال وشهادة العقل، الذين لا يمكن أن يوثق في معارفهما لأنهما كثيرا ما يخطئون، أوجد موضع للشك في المعارف التي يقدمانها لنا، فظل في وسط عالمه الشكي يبحث عن اليقين الذي كان ينشده، حتى قذف الله بنور في صدره، وتوصل إلى اليقين عن طريق الانكشاف الباطني أو الحدس، والذي لولاه لما خرج الغزالي من الشك ولبقي على مذهب السفسطة كما يقول.

ومن خلال هذا نلاحظ وجه الشبه بين منهج الشك الديكارتي ومنهج الشك عند "الغزالي"، بحيث نجد أن "ديكارت" قد اتبع هو كذلك الشك لمنهج لوصوله إلى الحقيقة أو اليقين، كما شك مثل الغزالي في الحواس، بالعقل، ورأى بأنهما كثيرا ما يمدان. بمعرفة تكون خاطئة معتمدا في ذلك على أدلة واقعية تبين ولوج الشك عنده إلى الحواس والعقل وبهذا لا يمكن أن يؤديان إلى المعرفة اليقينية التي كان يبحث عنها، والتي توصل إليه من خلال تفكيره باعتباره كائن يشك، وبما أنه يشك فهو يفكر، لأن الشك ليس سوى عملية من عمليات التفكير.

كما أن "ديكارت" قد يعترف بالحدس، "وطريقة "ديكارت" في الشك وانتقاله إلى اليقين بالحدس الفكري ومعرفة الذات. أدرك قيمة هذا النور الذي تكلم عليه الغزالي" [2].

فبما أن الغزالي كان سابق منهجا وزمنا على "ديكارت" في الشك وبما أن الفلسفة الحديثة كانت مسألة حقيقة العلم هي من المسائل الأساسية في الفلسفة الحديثة، كما يجد أن الغزالي بحث في نظرية المعرفة، ومعيار اليقين وتوصل بعد الشك إلى بيان حقيقة العلم، بطريقة الحدس الباطني وبأسلوب يشابه لأعلام الفلسفة الحديثة.

---

[1] - الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 81.

[2]، [3]. الغزالي، المنقذ من الضلال. ص ص 36-34.

لهذا لابد أن يكون "ديكارت" قد تأثر بحجة الإسلام، الإمام أبو حامد الغزالي، "وكل من قرأ تأملات "ديكارت" ومقالته في الطريقة أدرك قيمة معيار العلم عند الغزالي، واشترطه في اليقين وضوح الأفكار، وانكشافها للعقل انكشافا بديهيا".

فالبرغم من هذا التشابه الظاهري في استخدام منهج الشك عند كل من الفيلسوفين إلا أن طريق الشك الذي انتهجه "الغزالي" يختلف عن "ديكارت" فالأول نتج عن أزمة نفسية انبثق عنها حالة استشراق صوفي، بينما كانت الحقيقة المعقولة هي نتيجة للشك الديكارتي.

# المبحث الرابع
# مفهوم الشك

**تطور تاريخي لمفهوم الشك:**

إن تاريخ الشك هو تاريخ عمر الإنسان، ومع أن هذه النزعة تنطوي على معنى سلبي، وتوقف عن الحكم في شكلها العام، يبد أنها تعد مدخلا ضروريا ليقين العلم، وتقدم المعرفة ذاتها، فلا وجود لمعرفة حقة بدون شك وتاريخ الفكر الفلسفي شاهد على ظهور فلسفات شك عديدة، منها ما ذهب إلى إنكار معرفة العقل، والاعتراف بشهادة الحواس، وهذا ما نجده في فلسفة "هير قليطس" فيلسوف التغير والصيرورة وكذلك السفطسائين وغيرهم وجاءت الفلسفة الإيلية تستنكر أحكام الحواس وتهدم مذهب "هير قليطس" في التغير وتثبت ببراهن العقل وحده استحالة التغير والحركة.

ومن هذا كله يتبين لنا اتجاهات للشك: أحدهما يستند إلى الحواس ويثق في المعارف الأتية عن طريقها وأما الثاني يرفضها ويشك في أحكامها ويولي العقل وبراهينه ثقته الكبرى.

وعن الذين يشكون في الحواس ويحاولون هدمها كانوا يقدمون الكثير من البراهين التي تهدم هذه الشهادة، كالعصى التي تبدوا في الماء مكسورة وظاهرة السراب وغيرها من الأمثلة التي تخدعنا فيها الحواس. وهذه الاستدلالات المثيرة للشك هي التي يواجه بها أتباع العقل المتشككون في الحواس أعداءهم ونجد أن هناك فريق أخر ثالث من غير الواثقين في الحواس والمنكرين لها أولائك هم أتباع الشك المطلق في كل من الحس والعقل من أمثال بيرون.

**مفهوم الشك**

يعني لفظ الشك البحث والتقصي من أجل الكشف عن الحقيقة، ومن الغريب أن يصبح مدلول هذا اللفظ فيما بعد، هو إنكار قدرة الإنسان على اكتساب المعرفة فهو يعني بحث الإنسان عن الحقيقة وعدم حصوله عليها، وإذا كان أتباع مذهب اليقين قد ذهبوا إلى إمكان قدرة الإنسان على إدراك الحقيقة، فإن الشاكين قد أنكروا هذه القدرة، فلم يتمكنوا من إقامة نظرية في المعرفة بل أقاموا نظرية يصح القول أنها: "انتقاء المعرفة أو عدمها" [1].

أما الشك عند ديكارت فهو شك مؤقت حيث نجده يقول في المبادئ "لقد كنا أطفالا قبل أن نصبح رجالا وحيث أننا قد أصبنا أحيانا، وأخطأنا أحيانا أخرى في أحكامنا على الأشياء المعروضة لحواسنا عندما كنا لم نصل بعد إلى تكوين عقولنا، فإن هناك ثمة أحكاما كثيرة

[1]- راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، ص ص 129- 131.

تسرعنا في إصدارها على الأشياء، ربما تحول دون بلوغنا الحق، وعلقت بعقولنا قبل التيقن منها، حتى أنه لم يعد هناك أمل في التخلص منها، إلا إذا شرعنا مرة أخرى في حياتنا، إلى وضع جميع الأشياء قد تنطوي على أقل قسط من الريبة موضع الشك"[1].

فمن خلال هذا النص "لديكارت" يمكن إلقاء الضوء على نوع الشك الذي انتهجه "ديكارت" إنه الشك المؤقت، وليس شك دائم أو مطلق. فشك "الديكارتي" شك بناء، فهو وليد تجربة شخصية عقلية، فديكارت وجد أمامه تراث علمي وديني كثرت حوله الأقاويل، وتعددت حوله المذاهب. لأراء، فهذا التراث الذي عايشه لم يجد فيه شيئا يطمئن إليه بصفة مطلقة، أو يقنعه فاصطلح له الشك "منهجا" لبلوغ اليقين في جميع المعارف والنظريات، فلقد أخذ يشك في جميع ما اكتسبه من معارف ومعتقدات، فلقد بدأ بالنظر إلى العالم من جديد وكما كان عليه أن يضع أو يتوقف قليلا معلقا أحكامه على الأشياء ريثما يتأكد من صدقها ووضوحها فنجد الشك "الديكارتي" هادفا للحقيقة، منطويا على نوع من المجاهدة الصوفية "وأنه ضرب من ممارسة الزهد في المحسوسات للوصول إلى تحديد العقل أو بلوغ الحقيقة الروحية [2].

فهو يذهب إلى تحرير العقل من سيطرة الحواس ويقيه من مجرد الاحتمالات ومن ثم فإنه يركز تركيزا شديدا على اختيار القضايا والبرهنة عليها. ويشعر بالأمل في الوصول إلى قضية أو مبدأ يعلو على مستوى الشك، بما يتضمنه من صدق ويقين فالشك عند "ديكارت" كوسيلة منهجية من أجل الوصول إلى الحقيقة التي لا يمكن أن يتطرق إليها الشك. فهو شك يبحث عن البينة ويستشعرها ويسعى إليها بينما نجد أن أتباع مذهب الشك المطلق يرفضون التسليم، و لو بمجرد الحقائق الواهمة غير المحتملة، لذلك فهم لا يقبلون حقائق الواقع النظرية. ولا يحافظون على التعليق النزيه للحكم، كما يفعل "ديكارت" ريثما يتأكد له صدق الحقائق باستخدام منهج الشك المؤقت.

---

(1-2) راوية عبد المنعم عباس، د. صفاء عبد السلام جعفر، المذاهب الفلسفية الحديثة، ص ص 97-98.

## - كرنولوجيا الشك عند ديكارت

نرى أن "ديكارت" قد حاول الوصول إلى اليقين عن طريق استخدام منهج الشك. وذلك المنهج المؤقت الذي كان يهدف منه إلى بلوغ الحقيقة في جميع المعارف والعلوم الإنسانية التي أصبحت في نظره موضع شك ومحل شبهة، فقد مر الشك عند "ديكارت" بعدد من الخطوات الأولى: هي التوقف عن الحكم عن الأشياء ريثما يطمئن إلى صحتها ونجد هذا في قوله: "لم"ثم وضح لي أن ما نبنيه بعد ذلك على مبادئ، تلك حالها من الاضطراب، لا يمكن أن يكون إلا أمرا يشك فيه، كثيرا ويرتاب منه، لهذا قررت أن أحرر نفسي جديا، مرة في حياتي، من جميع الأراء التي أمنت بها قبلا، وأن ابتدئ الأشياء من أسس جديدة إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم قواعد وطيدة" [1].

فقد صمم على أن الشك في كل ما تعلمه من قبل، بادئا النظر كله من جديد، وكأن عيناه تتفتحان لأول مرة على العالم من جديد. وكأنه يطالع العالم للمرة الأولى، محاولا لتعرف على الأشياء المادية المحسوسة التي أثبتت خداعها وبطلانها، فلقد شك في حقيقة الأشياء الحسية، (أمور العالم المادي) باعتبار أن حواسنا كثيرا ما يخدعنا، وهكذا استبعد "ديكارت" شهادة الحواس ويقول " من واجبي أن أشك في وجود العالم الخارجي وفي حقيقة الأشياء المحيطة بي، وفي وجود أشبه هي من الناس وفي جميع الأحكام التي تبدو أوضح القضايا وأكثرها بداهة، والإنسان بعد أن يكون قد شك في كل هذا، يكون قد تهيأ إلى أن يصل إلى اليقين" [2].

فقد شك ديكارت من كل شيء من حوله أو اكتسبه، لكنه وجد في أخر أمر شيء يتمسك به في وسط المحيط الشكلي ويتمكن بواسطته من إعادة بناء العالم الذي قوض الشك دعائمه وهذا الشيء هو عدم شكه في وجوده الخاص وإلا لكان غرق في محيط الشك المطلق، فكان لابد له من وجود شيء واحد، نقطة واحدة تتولد منها ثقته في العالم، فهناك شيء واحد يظل دائما بعيدا عن الشك هو الفكر وحتى لو أن الإنسان قد شك في أنه يفكر فهذا شك يقتضي منه أن يفكر، والشك هو درب من دروب التفكير، "فأنا أفكر أنا أشك".

---

[1] - رنيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة د. كمال الحاج منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1961، ص47.

[2] - أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، ص .89.

فقد وصل إلى اليقين عن طريق ذاته المفكرة وفي هذه اللحظة تمكن الفيلسوف من الوصول إلى حقيقة ثبوت الأنية، والذات المفكرة التي يستحيل الشك فيها وقال عبارته الشهيرة "أنا أفكر أنا موجود" وقد وصل فيها إلى حقيقة وجوده ابتدءا من الفكر بعد أن كان قد وصل إلى حقيقة التفكير نفسه من الشك.

## الخلاصة:

يعد "رنيه ديكارت" بفلسفته، ومنهجه الجديدين، خير معبر عن مرحلة الحديثة، فقد أسس منهجا خالف به المثالية المتعالية التي نهجت عليها الفلسفة المدرسية، مغيرا وجهة الفلسفة مع مطالع العصر الحديث، يشهد على ذلك في مؤلفاته التي أشار فيها بالاستعاضة عن التفلسف بفلسفة عملية في سبيل سيطرة الإنسان على الطبيعة وتطويعها لخدمته.

# الفصل الثاني
# المنهج عند ديكارت

## تمهيد

تميز القرن السابع عشر بميزة هامة وهي عناية المفكرين فيه بمسألة المنهج أو الطريقة الواجب إتباعها في البحوث العقلية، وكان "فرنسيس بيكون" أول من نادى بإتباع منهج جديد يمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة.

وجاء من بعده "ديكارت" "وسبينوزا" و"ليبتنز" ليتحدثوا كذلك عن المنهج، فالعناية بالمنهج هي سمة من سمات القرن التاسع عشر، وجميع مفكري ذلك العصر كانوا مؤمنين بفائدة المنهج وأثره في العلوم وفي الحياة، ولقد كان للمنهج بذور عميقة نشأت مع الفيلسوف وتغلغلت في تفكيره منذ مرحلة تعليمه الأولى، إلى اكتشافه في شبابه عدة طرق عقلية كانت تساعده في الوصول إلى الحقيقة. فلقد اهتم "ديكارت" بالمنهج اهتماما كبيرا ويظهر ذلك في مؤلفه "مقالة في المنهج" الذي وضع فيه مجموعة من خطوات العقلية التي تؤدي بمتبعها للوصول إلى اليقين.

# المبحث الأول
# دور الرياضيات في تأسيس المنهج الديكارتي

## دور الرياضيات في تأسيس المنهج الديكارتي

يعرف ديكارت المنهج أو الطريقة بقوله: "إني أعني بطريقة قواعد يقينة سهلة تمكن كل الذين يراعوها مراعاة دقيقة من أن لا يفترضوا أبدا صحيحا ما هو خاطئ، وأن يبلغوا، دون إرهاق أنفسهم بجهود غير مفيدة بل بالزيادة المطردة في عملهم، معرفة صحيحة بكل ما يمكن أن يهتموا به" [1].

فنجدوا الفيلسوف يدعوا من خلال المنهج إلى تتبع قواعد يقينية تؤدي باللذين يتبعونها ويراعونها مراعاة دقيقة، إلى بلوغ النتائج الصحيحة وتزيد من عملهم أو معرفتهم بكل ما يهتموا به.

كما أن ما الهدف من دراسات والبحوث التي لا يعرف منها الإنسان إلا أراء الظنية، أو أفكار الاحتمالية، فهو يرى بأن حالة الجهل بها خير من معرفتها المزعومة الناقصة، كما أنه لن يكون هناك علم ما لم تكن هناك معرفة يقينية ومن هذا المنطلق إتجه "ديكارت" إلى تأكيد اليقين الرياضي.

وأصبحت الرياضيات أو المعرفة الرياضية هي النموذج الأمثل للمعارف اليقينية الواضحة، وأي معرفة مهما كان نصيبها أصلا من الصحة واليقين لن تكتسب صفة الصدق الرياضي، فا لبلوغ اليقين في أي علم من العلوم يجب أن نتبع أو نأخذ من قواعد الرياضيات. لأنها أكثر العلوم يقينا.

ولا تضاهي يقينها أي علم من العلوم الأخرى. لهذا تأثر "ديكارت" بيقين الرياضيات.

ولقد ساهمت الرياضيات في تأسيس المنهج الديكارتي بقدر كبير، فليس ثمة معرفة بالعالم إلا من خلال التصورات الرياضية، وقد بلغ إيمان "ديكارت" بهذا العلم إلى حد تسليمه بعجز عقولنا من الوصول إلى أية معرفة واضحة ومتميزة عن العالم إلا من خلال أفكار رياضية واضحة ومحددة بل قد أعد هذا العلم (الرياضيات) من قبيل الأمور المنزلة من عند الله، لما

1- رنيه ديكارت، حديث الطريقة، ترجمة د. عمر الشارني، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان طبعة الأولى، سنة 2008، ص 45.

يحتويه من صدق ويقين، ولذا فقد أولاه عناية فائقة، وبعد تأكده من نجاحه أخذ يطبقه وبخاصة في مجال الهندسة وفي مجالات أخرى.

لذلك فليس بمستغرب على عالم الرياضيات الذي ابتكر الهندسة التحليلية أن يستفيد من منهجها في الفلسفة، إذا كان مدار العلم الطبيعي في حقيقة الأمر هو الكشف عن العلاقات التي يمكن التعبير عنها رياضيا، لذلك ينبغي أن يكون تابعا للعالم الرياضي، وبقدر ما يمكن تفسير العالم علميا، يجب تفسيره رياضيا، لما تمنحه لنا الرياضيات من يقين وهذا ما عبر عنه "ديكارت" بالقاعدة المشهورة في منهجه والتي يقول "أن لا أتلقى أي شيء على أنه حق، ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك، بمعنى أن أبذل الجهد في اجتناب التعجل، وعدم التشبث بالأحكام السابقة، وأن لا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل لعقلي في وضوح وتميز يزول معهما كل الشك، وهكذا يكون الوضوح والتميز من سمات أبسط قضايا الرياضيات والمنطق التي يعرفها الإنسان بطريق النور الفطري، أي الحدس [1].

وليس الاستنباط سوى مجموعة من الحدوس نصل عن طريقها إلى معرفة اليقينية وهي غاية المنهج الديكارتي.

فالمنهج هو مجموعة القواعد التي تكفل لمن يراعيها بلوغ الحقيقة في العلوم، كما أنه اجتهاد شخصي لمن يستخدم النور العقلي المنبث فينا من قبل الله، والذي ليس بحاجة إلى تعليم أو تلقين، فيصل إلى الحقيقة بوسلتين أو فعلين هما، فعل الحدس وفعل الاستنباط .

1 - راوية عبد المنعم عباس. د. صفاء عبد السلام جعفر، مذاهب فلسفية حديثة ص 77.

وبهذا الفكر الجديد يخالف "ديكارت" المدرسين، ويهدم أصول منطقهم الأرسطي التقليدي، متمسكا بالمنهج الرياضي للوصول إلى المعرفة بطريقي الحدس والاستنباط [1].

فقد أراد "ديكارت" للفلسفة أن تكون، رياضية فكرية، أي أن تؤمن من بأن الفكر إنما ينطلق من مسلمات أساسية هي بمثابة المسلمات والبديهيات الرياضية ثم أن يتناول الذهن بعد ذلك الحدوس المختلفة حول موضوع معين، بشرط أن تتطابق هذه الحدوس مع الحدوس الرياضية تماما، ومن هنا يتضح لنا كيف أسهمت الرياضيات في تأسيس المنهج عند "ديكارت".

1 - محمد علي أبو ريان، ديكارت والفلسفة العقلية ص 82.

# المبحث الثاني
# قواعد المنهج الديكارتي

## قواعد المنهج الديكارتي:

يرى ديكارت أن الجهل التام خير من المعرفة المزعومة المضطربة، والعلم لا يكون علما إلا إذا كان يقينا، لأن العلم قوامه البداهة واليقين لا الظن و التخمين، ونموذج اليقين هو المعرفة الرياضية، وتفوقها ناشئ من بساطة موضوعاتها لأن العقل البشري أنشأها من ذاته، والعلوم هي مرآة العقل البشرى الثابت مهما تنوعت الموضوعات التى يبحثها دون ان يغير ذلك الاختلاف من طبيعته أكثر مما يغير اختلاف الأشياء من طبيعة الشمس التي تلقى على الأشياء بنورها، كما يرى في كتابه "المقال في المنهج" أن الذهن اعتاد أن يطلب المنهج الصحيح ولم يستطيع علم من العلوم أن يقدم مثل هذا المنهج غير الرياضيات، فأمكنه أن يتصور الرياضيات الكلية الشاملة، ووسيلته في ذلك الحدس الذي هو نور فطري الذي جعله مرادفا للإدراك السليم. وجعل ديكارت كل شيء قابل للإدراك ما عدا الله تعالى ولهذا كله اقتنع "ديكارت"، كما اقتنع "فرنسيس بيكون" من قبله، بأن حاجة الفلسفة الكبرى إنما هي الحاجة إلى منهج دقيق ومثمر للبحث ولقد أخذ هذا المنهج من الرياضيات التي كان بارعا فيها، فأخذ عنها المنهج الدقيق. والذي وضعه في خطوات أربع [1] والغرض منها وصف الطرق التي يعمل فيها الذهن حين يفكر تفكير رياضيا وهي كالتالي:

## القاعدة الأولى: وهي قاعدة البداهة والوضوح.

يقول ديكارت "لا أسلم بشيء على أنه حق ما لم يتبين لي بالبداهة أنه كذلك، ومعنى أن أحذر من كل تسرع أو ميل إلى الهوى، وألا أدخل في حكمي شيئا أكثر مما هو حاضر، أمام عقلي من وضوح بحيث أجد مبرر للشك في صحته" [2].

ومن خلال هذا أو بتحليلينا لقول "ديكارت" يتضح لنا دعوة لاستقلال العقل عن الأحكام المسبقة، ورفض لسائر ألآراء والأحكام السابقة والموروثة لدينا والتي تفرض علينا أو على العقل، وذلك لأن العقل بحكم طبيعته يتوصل إلى الحقيقة أو يدركها بذاته أي بالحدس العقلي المباشر الذي يدرك الأشياء للوهلة الأولى في كامل حقيقتها ويقينها، وبهذا يكون "ديكارت"

[1] - إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص ص 81- 82.
2 - أمل مبروك، الفلسفة، الحديثة، ص 85.

قد وجه دعوة للمعرفة اليقينية أو يوجه نداء إلى يقين المعرفة الذي هو عماد العلم والتجربة، والذي لا يترك مجالا للاحتمالات المشكوك فيها والتي لا يستند إليها العلم ولا المنهج.

وينتهي "ديكارت" من القاعدة الأولى بطلب اليقين والبداهة اللذان هما غاية العقل في بحثه عن الحقيقة، على أن ذلك المسعى لا يكفي وحده للوقوف على حقيقة الفكرة النهائية، لأنه ينبغي أن تحصل الفكرة ذاتها على وضوح وتميز كامل والوضوح في المضمون يعني، ألا يكون غامضا أو مشوبا بلبس أو غموض بينما أن التميز فيه يفيد ألا يطلق هذا المضمون على أكثر من فكرة في الوقت نفسه، وبهذا يكون "ديكارت" قد يطلب البداهة واليقين من العقل ذاته، كما يطالب الفكرة الماثلة أمامه بالوضوح والتميز، وهذه الخصائص كلها من عمل العقل الذي يطلب المعرفة ويجب علينا ألا نتسرع في أحكامنا لأن العجلة من دوافع الوقوع في الخطأ.

## القاعدة الثانية: قاعدة التحليل.

يقول "ديكارت": "أن أقسم كل مشكلة أفحصها إلى أجزاء صغيرة ما وسعني التقسيم وحسبما تحتمل، وذلك حتى يمكن حلها على خير وجه" [1].

تعتبر هذه القاعدة أساسية في أي منهج يراد له الدقة في أي مجال من المجالات كانت سواء في مجال الفلسفة أو في مجال العلم أو حتى في مجال الفنون وفيها يفترض تحليل المعقد أو التعقيد لأن البسيط لا يحتاج إلى تحليل فهذه القاعدة ترمي إلى محاولة تحليل الحقائق، فإذا كنا إزاء مشكلة معقدة لزم تحليلها إلى أبسط عناصرها، أي الانتقال من المركب إلى البسيط، فنحلل المشكلة الى عناصرها البسيطة التي لا يمكن أن تنحل بدورها إلى ما هو أبسط منها، وحتى نزيل عن تلك القضية الغموض ويسهل التعامل معها.

## القاعدة الثالثة: قاعدة التركيب

وفيها يقول: "ديكارت"، يجب أن نركب أفكارنا فنبدأ بأبسطها ثم نتدرج قليلا قليلا حتى نصل إلى معرفة أكثر تعقيدا، وأن نفترض ترتيبا بين الأفكار التي لا يسبق بعضها البعض الأخر بالطبع"[2].

[1] - محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية سنة 1996، الطبعة [ب ط] ص 54.
[2] رواية عبد المنعم عباس. ديكارت والفلسفة العقلية، ص 93.

ولقد كان "لديكارت" أهمية كبيرة لهذه القاعدة، لأنها تنبع من قاعدة التحليل السابقة عليها كما أنها تفتح باب الشغف الديكارتي بالرياضيات على مصراعيه، فهي تطبق المنهج الرياضي على منهج الفكر الفلسفي، ولما كان "ديكارت" حريصا على تطبيق منهج الرياضيات في مجال الفلسفة فليس هناك استغراب عندما يبدأ تفكيره من الحقيقة الأولى البسيطة، ثم يتدرج صاعدا حتى يصل إلى الحقائق المركبة، فيسر فيها من البسيط إلى المعقد، وبواسطة هذه القاعدة تكتشف الترتيب العقلي المنطقي بين الأشياء وما يصل بينها من ارتباطات.

**القاعدة الرابعة: قاعدة الإحصاء.**

يقول عنها ديكارت: "ينبغي في كل حالة أن أقوم بالإحصاءات التامة والمرجعات الكاملة، بحيث أوقن أنني لم أغفل من جوانب المشكلة شيئا" [1].

هذه القاعدة تمكننا من التحقق من صدق النتائج التي يتوصل إليها، وبأننا لا نغفل في أثناء عملية التركيب أي جزء من أجزاء المشكلة المطروحة للحل، ونتأكد من أننا لم نهمل شيئا منها نتيجة لتأثير الذاكرة – أمراض الذاكرة – وهذا الإحصاء الذي نستخدمه هو نوع من الاستقراء الذي يعد استنباطا ينتهي إلى حدوس، كما يقصد بها أيضا ألا نستبقي في الذاكرة غير الأفكار الحدسية بحيث يرتد كل عنصر بسيط إلى فكرة حدسية، ثم نؤلف بعد ذلك تلك العناصر المحللة تركيبة جديدة نقوم في مجموعها على الوضوح والتميز فضلا عن الاتساق المنطقي.

1 - أمل مبروك، الفلسفة الحديثة ص 87.

# المبحث الثالث
# أسس المنهج الديكارتي

## أسس المنهج الديكارتي:

يعرف "ديكارت" المنهج على أنه "جميع الأفعال الذهنية التي نستطيع بها أن نصل إلى معرفة الأشياء دون أن نخشى الزلل، وهو عبارة عن فعلين إثنين هما الحدس والاستنباط"[1].

كما نجد له رأي أخر أيضا أو يقول عن المنهج في كتابه "المقال عن المنهج" أن المنهج عبارة عن القواعد التي تعين الإنسان على زيادة علمه "تدريجيا والارتقاء شيئا فشيئا إلى أسمى نقطة يستطيع بلوغها، رغم ضعفه وقصر حياته" [2].

ويقوم هذا المنهج عند "ديكارت" على أساسين هما الحدس والاستنباط.

## الحدس:

فيقول عنه: "أقصد بالحدس لا شهادة الحواس ولا الحكم الخداع حكم الخيال، وإنما أقصد به الفكرة التي تقوم في ذهن خالص، وتصدر عن نور العقل وحده" [3].

فالحدس هو رؤية العقلية المباشرة التي بها ندرك الأفكار والمعاني المتميزة ويعلم كل منا عن طريقها أنه موجود لأنه كائن يفكر، وكذلك التي يدرك بها الذهن بعض الحقائق البديهية التي يعتقد فيها الإنسان ولا يتطرق إليها الشك.

كما أن الحدس لا يمكن البرهان عليه لبداهته، فإذا أردنا أن نبرهن على فكرة حدسية فذلك يعتبر عبثا فكريا، فالفكرة الحدسية واضحة بذاتها بلا برهان فا "ديكارت" يرى أنه لو بدأنا في الفلسفة بمجموعة من الأفكار الحدسية لكان ذلك أساسا متينا لإقامة المعرفة اليقينية، فالمعرفة اليقينية عند ديكارت مصدرها الحدس والحدس لديه "نور فطري".

وللفكرة الحدسية خاصيتين أو ميزتين أساسيتين هما: الوضوح والتمايز

فالفكرة الحدسية يجب أن تكون واضحة مما يعني أن تقوم الفكرة في الذهن ونحن مستعدون لقبولها أو التسليم بها، وذلك لما نرى فيها من بداهة لا يتطرق إليها الشك ولا نطلب البرهان عليها وعكسها الفكرة غير الواضحة المشوشة وهي الفكرة الغامضة والتي لا يفهمها الذهن ونحتاج لفهمها أن نستعين بشيء أخر.

---

(1- 3) أمل مبروك، الفلسفة الحيثةن ص 83.

2- إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 78.

وأما التميز فيقصد به "ديكارت" ألا تكون الفكرة ملتبسة مع فكرة أخرى، ويسهل فهم قصد ديكارت من خلال الأمثلة التالية:

تصور المثلث محدود بثلاثة أضلاع لا غير، وأن المساويات لثالث متساويان وأن لكل جسم مادي بشكل محدود وحجم ما.

**الاستنباط:**

ويعني الاستنباط Deduction انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات إلى قضية أخرى النتيجة وفق قواعد المنطق، وليس من اللازم أن يكون انتقالا من العام إلى الخاص أو الكلي إلى الجزئي.

و"ديكارت" يقصد بالاستنباط أن ننتقل من فكرة حدسية إلى نتيجة تصدر عنها صدورا ضروريا – أي لا يمكن تصور نقيضها- ومن ثم تكون النتائج المستنبطة، حدسية هي الأخرى، وطالما تأثر "ديكارت" بالرياضيات ومناهجها فقد أراد أن يتم الاستنباط الفلسفي بنفس طريقة الاستنباط الرياضي حيث تؤدي نتائجه إلى معلومات جديدة لم تكن متضمن في الفكرة الحدسية الأصلية. فليس بسهولة أن نكشف بالحدس المبادئ الأولى للعلم والفلسفة، ثم نقوم بعملية استنباط جديدة وهنا نستعين بالتجربة لكي تساعدنا على اكتشاف النتائج الصحيحة التي وقع عليها اختيارنا بصورة لا تقبل الشك [1].

1 - إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص ص 79- 80.

# المبحث الرابع
# مميزات المنهج الديكارتي

## مميزات المنهج الديكارتي:

تختلف المعرفة عند "ديكارت" عنها عند أرسطو لاختلاف المنهج، فالمعرفة عند "ديكارت" لا تتم بالتعريف، فإذا أردنا أن نعرف المثلث فلا نبحث عن جنسه وفصله، وإنما تتحقق هذه المعرفة إذا وقفنا على الروابط بين زواياه وبين زواياه وأضلاعه.

فالمعرفة الأرسطية تبدأ في إثبات وجود الشيء قبل البحث عن ماهيته، حتى لا يبحث الإنسان في أشياء وهمية لا وجود لها، أما "ديكارت" فلا يحاول إثبات الوجود لشيء إلا إذا كانت لديه عنه فكرة واضحة، والمنهج الجدلي الأرسطي يتفق وطبيعة التصورات المجردة، في حين أن المنهج الرياضي يتفق والمعاني الواضحة.

ويدعي "ديكارت" أن العقل لا يخطئ إذا فكر في الأمور البسيطة الواضحة التي اختص الحدس بإدراكها والذهن وحده هو الذي يستطيع أن يدرك الحقيقة.

ويظهر اختلاف بين "ديكارت" و"أرسطو" في مواطن عدة مختلفة في المنهج لكننا سوف نوضح هذا في خطوة القياس الذي يعتبره ديكارت الوسيلة الثانية لبلوغ اليقين الرياضي.

## القياس عند ديكارت وأرسطو:

فالقياس الديكارتي يختلف تمام الاختلاف عن القياس الأرسطي، ذلك لأن علاقة الحدود الثلاثة في القياس الأرسطي خاضعة لقواعد معقدة، تطبق بطريقة آلية لمعرفة الأقييسة المنتجة وغير المنتجة، في حين أن القياس الديكارتي أساسه حدس وإلهام واضح كل الوضوح، والقياس الأرسطي يمتاز بأنه يقوم على علاقات ثابتة سواء أدركت أو لم تدرك في حين أن القياس الديكارتي هو حركة فكرية موصولة حركة فكر يرى الأشياء الواحد بعد الأخر رؤية بديهية، والقياس الأرسطي يفسح المجال للقضايا الظنية والاحتمالية في حين أن ديكارت لا يقبل إلا القضايا اليقينية البديهية.

فكل عقل عند ديكارت قادر على الحدس والقياس، قادر على القيام بهما بفطرته وطبيعته بل هما العقل نفسه عنده، والعقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس كما يقول.

فلقد استخدم ديكارت المنهج الرياضي، منهج التحليل والتركيب، الذي يعتمد على الوضوح والبساطة، فهو منهج عقلي، على نقيض ما ذهب إليه بيكون من استخدام الاستقراء، وهو منهج يعتمد في كل خطوة من خطواته على الملاحظة والتجربة.

**مشكلة المنهج بين أرسطو، وبيكون، وديكارت:**

لما كان ميلاد المنهج هو مشكلة القرن السابع عشر الذي تبلورت فيه سائر الاتجاهات الفكرية والعلمية وتكاتفت في الثورة على الفكر المدرسي والمنطق الأرسطي وليس جديدا على هذه المرحلة الانتقالية أن يشعر ديكارت بضرورة المنهج باعتباره الخطوة الأولى في طريق التفلسف الصحيح فقد سبقه إلى ذلك "فرنسيس بيكون" الذي قدم للفلسفة محاولة أولى لبناء منهج علمي وفلسفي جديد أو منطق جديد يحل محل المنطق الأرسطي القديم.

فديكارت قد حدد الإطار العام لفلسفته في منهج دقيق واضح المعالم له خطواته ومراحله التي يسير عليها في مؤلفاته ملتزم بإتباعها لكي يصل إلى اليقين الذي لا يعدله اليقين فلقد كشف القرن السابع عشر عن ثورة علمية عارمة ظهرت بوادرها الأولى منذ عصر النهضة فتجربة المنهج عند "بيكون" تعد محاولة رائدة في هذا المجال فقد وضع منهجا له خطواته المحددة في ميدان العلوم الطبيعية.

وجاء "ديكارت" بمنهجه يؤكد المسيرة في هذا الاتجاه بعد قرون طويلة من الخضوع للمنطق الأرسطي القياسي العقيم والذي احتضنته الفلسفة المدرسية منذ القرون الوسطى وهو ما كان يدرسه "ديكارت" في لافليش في مرحلة تعليمه الأولى ولم يكن مثار إعجابه.

وبمرور الزمن اكتشف الفيلسوف أن الفوضى الفكرية والاضطراب العلمي، والصراع الديني، والتخبط في متاهات الصدف والحظوظ دون خطة موضوعة في منهج محدد هو من أسباب وقوع غالبية الناس في الخطأ.

لذا فقد ظهر لديكارت أن أفة الفسلفات السابقة تتمثل في افتقارها إلى منهج دقيق يجعلها لا تلتزم بعالم الفكر المجرد في عزلة العالم الطبيعي [1]، وتلك سمة تفكير "ديكارت" من النظر في البناء الرياضي للهندسة التحليلية، والتي جمعت بين تحليل الأقدمين وجبر المحدثين والتي صاغها علما متكاملا أضيف إلى علوم الرياضة المتعارفة في عصره، وما تلاه من عصور.

ولذا فإن "ديكارت" سيظل فاتحا بابا كان من قبل مغلقا وهو البحث عن منهج البحث الفلسفي طمعا في الوصول إلى مواقف لها نصيب من الدقة والموضوعية وسوف يظل إماما بمنهجه لكل من يأتون بعده وإن اختلفوا عنه في موقفه الفلسفي.

1 - راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، ص 95.

## الخلاصة:

إن الدراسات التي تسير على غير نظام، والتأملات الغامضة والخواطر المبهمة تحجب الحقيقة، ومن اعتاد أن يسير في الظلام ضعف بصره ولم يعد في قدرته أن يتحمل الضوء الساطع، لذلك وجب على الإنسان أن يتخذ منهجا للبحث يسير وفقا له، وليس لمنهج العصور الوسطى قيمة تذكر فهو يعيق عمل العقل ومن ثم كان "ديكارت" أن يضع طريقة جديدة قويمة للحصول على المعرفة اليقينية بواسطة العقل، فلقد رأى "ديكارت" أن البحث في المنهج هو أهم المشكلات وأولها بالعناية في مهمة الفيلسوف وأراد أن يجعل بداية إصلاحه الفكري الظفر بطريقة قويمة للحصول على المعرفة الحقيقية بواسطة ذلك النور الفطري المبثورة فينا جميعا وهو "نور العقل".

# الفصل الثالث
# ديكارت من الشك إلى اليقين

## تمهيد:

إن البحث عن اليقين هو الغاية من أي تفكير إنساني، وهذا لا يعني أن "ديكارت" كان ناقلا لتراث السابقين، بل كان مخالف لهم في بحثه وأهم ما يتميز به "ديكارت" عنهم هو ابتكاره للشك المنهجي كأداة ووسيلة، من أجل تحرير العقل من الأفكار الموروثة والمعارف والمعلومات المضطربة، فهو لم يكن خاضعا لأي مذهب أو اتجاه فلسفي بعينه بل كان منفردا وكلفا بطريقته الخاصة المبتكرة التي تتسم بالبداهة والجلاء والتميز، فإن منهجه لا يعتبر من قبيل المحاكاة للفلسفات السابقة، بل هو تلمس لليقين الذي يعتمد على نور العقل الفطري فيمتاز الشك الديكارتي بأنه ليس نهاية حركة العقل الفلسفي، إنه البحث عن نقطة البداية، عن النقطة التي يصح للفيلسوف، أن يبدأ عندها، فالشك هو المرحلة الأولى، هو التأمل الأول في الفلسفة وهو الطريق الذي يؤدي إلى اليقين.

# المبحث الأول
# الشك عند ديكارت

## الشك المنهجي:

في عصر "ديكارت" ظهرت دعوة جديدة إلى الشك (من جانب بعض الأدباء مثل "مونتيني" و"شارون" وكانوا يتشككوا في قمة المعارف الإنسانية، والعلوم الموجودة في عصرهم.

ولكنهم لم يتشككوا أبدا في قمة العقل وقدرته، ووضح استخدامه للشك كمنهج له في كتابه "تأملات ميتافيزيقية" أو يستخدم الشك كوسيلة منهجية من أجل بلوغ الحقيقة أو اليقين الذي لا يمكن أن يتطرق الشك له، وكأن الشك عنده معناه أن نتجنب الوسائل والموضوعات التي تؤدي إلى المعرفة الاحتمالية، ولما كان الفيلسوف يسعى إلى بلوغ اليقين الذي يمكن أن يقيم عليه بناء العالم كله، فقد قرر أن يخضع كل ما تعلمه من قبل إلي الشك، وأن يمضي في هذا الشك إلى أبعد حدود، بادئا النظر كله من جديد، يقول "ديكارت" في كتابه "التأملات".

"للفحص عن الحقيقة يحتاج الإنسان مرة في حياته إلى أن يضع الأشياء جميعا موضع الشك بقدر الإمكان.

فقد تلقيت طائفة من الأراء الباطلة، وكنت أحسبها صحيحة، فحكمت حينئذ بأنه لابد لمرة في حياتي من الشروع الجدي في إطلاق نفسي من جميع الأراء التي تلقيتها في اعتقادي من قبل، ولابد من البدء في بناء جديد في الأسس إذ كنت أريد أن أقيم في العلوم شيئا وطيدا ومستقرا.

"وسأبدأ أولا بالهجوم على المبادئ التي كانت تعتمد عليها أرائي القديمة كلها، سواء أكانت أحكاما فرضها علي الغير من معلمين أو مربين أو مرشدين أو من وكل إليهم أمري أم أحكاما ومعلومات اكتسبها أنا عن طريق الحواس" [1].

فهذا هو الشك المنهجي عند "ديكارت" إنه الشك الذي يقابله اليقين، كما أن "ديكارت" لم يكن مثل الشكاك ومقلدا لهم الذين كان شكهم أو كانوا يشكون ابتغاء للشك، أي من أجل الشك غير أن "ديكارت" شكه يهدف إلى بحث عن الحقيقة التي لا يمكن أن يشوبها الشك أو يصل إليها، وهناك خاصيتان أساسيتان للشك المنهجي الديكارتي:

1- ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة سنة 1977، طبعة الثانية، ص ص 71-72.

إنه شك إرادي، يفرضه الإنسان بإرادته على نفسه.

إنه شك مؤقت، لا شك دائم ومستمر.

وهكذا يتبين لنا أن "ديكارت" قد حاول الوصول إلى اليقين أو الحقيقة عن طريق استخدام منهج الشك الذي هو شك مؤقت يهدف إلى بلوغ الحقيقة، في جميع المعارف والعلوم الإنسانية.

## الشك في الحواس والخيال

فيقول ديكارت في كتابه تأملات ميتافيزيقية: في أن هذه المبادئ هي الحواس، التي لا يمكن أن يوثق بها لأنها خداعة.

كل ما تلقيته، حتى الآن على أنه أصدق الأمور، وأوثقها، قد اكتسبته بالحواس أو عن طريق الحواس، غير أني وجدت الحواس خداعة، في بعض الأوقات، ومن الحكمة ألا نطمئن أبدا كل ألاطمئنان إلى من يخدعنا، ولو مرة واحدة." [1]

وبهذا يستبعد "ديكارت" شهادة الحواس لأنها تخدعنا، ولا نأمن لم يخدعنا ولو لمرة واحدة. فالحواس كثيرا ما تعطينا صورا مركبة توقعنا في الخطأ وقد بدأ "ديكارت" شكه بالمعارف الحسية ثم في المعارف العقلية وأخيرا شك في كل شيء، فالحواس تعطيني معلومات خاطئة، وتخدعنا كثيرا من الأشياء فمثلا خطان السكة الحديدية فإنهما يبدوان أنهما يلتقيان عند نهاية المرمى البصري فإذا اقتربنا وجدناهما متوازيين، وكذلك خط الأفق نرى انطباق السماء عند نهاية مرمى بصرنا إذ نظرنا إلى البحر، بل إن الحواس الباطنة أيضا خادعة، مثل الشعور بالألم قد يكون ألما كاذبا كمن تقطع له ذراع أو تبتر له ساق فإنه يشعر بألم بعد إجراء العمليات لفترات طويلة.

وإن السبب الذي يدعونا إلى الشك في الحواس، هو نفسه الذي يدعونا إلى الشك في الخيال، فكلاهما يعطينا صورة مركبة توقعنا في الخطاء وبالتالي يجب الشك فيها فنعتقد في النوم أمورا ونتخيل أحوالا ونحسب لها ثباتا واستقرار، ثم نستيقظ فنعلم أن ما رأيناه أثناء النوم كان حلما، وهكذا فما المانع من أن تكون تصوراتنا في اليقظة كتصوراتنا في النوم كلها خيالات لا حاصل لها.

كما أن "ديكارت" لا ينكر يقينية أو صحة بعض المعارف التي نكتسبها من خلال الحواس فهي لا تخدعنا خداع مطلق لها جانب إيجابي وليس لها كل دور السلبي في اكتساب المعارف فهو يعترف بدورها في اكتساب هذه المعارف وهذا ما يعبر عنه بقوله في كتاب تأملات في الفلسفة الأولى عندما يقول: "يبدو لنا أنه يستحيل على حواسنا أن تخدعنا في بعض الأمور،

1 - رنيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ص 48.

ولئن كانت الحواس تخدعنا، بعض الأحيان، في أشياء صغيرة جدا وبعيدة عن متناولنا فهناك أشياء كثيرة أخرى لا يعقل أن نشك فيها، وإن كنا نعرفها بطريق الحواس مثال ذلك إن لبس عباءة المنزل، فاجلس هنا قرب النار، وقد مسكت بين يدي تلك الورقة، وأشياء أخرى من هذا القبيل كيف أستطيع أن أنكرها بين اليدين وهما يدي وذلك الجسم وهو جسمي، اللهم إلا إذا أصبحت كبعض المخبولين. الذين اختلت أذهانهم" [2]

من خلال قول ديكارت يبرز لنا أن الحواس ليس لها دور سلبي في اكتساب المعارف لها إيجابياتها التي نتوصل بواسطتها إلى اكتساب معارف عديدة لا يمكن لأحد إنكارها.

2 - رنيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى. ص 48.

## الشك في العقل

لقد استبعد "ديكارت" كذلك شهادة العقل نفسه، عندما قال بأن بعض الناس نجدهم قد يخطئون في الاستدلال ولو في أبسط القضايا الهندسية، من خلال قوله: "وما دام هناك أناس يخطئون عندما يستدلون، حتى وإن تعلق الأمر بأبسط مواضيع الهندسة"[1].

إن الخطأ المنطقي أو الرياضي فلأنه خطأ غير مقصودة، ولأن العقل لا يعيه ولا يتفطن إليه إلا بعد حصوله ومروره، إنه إذا خطأ في قالب الحقيقة، فهو يبدد مقاييس بين الحقيقة والخطأ، ويضيع السبيل في وجه العقل الذي تختلط عليه الأمور. وتكون كل حقائقنا التي نعتبرها يقينية مجرد نسيج من الأخطاء التي لم نتفطن إليها بعد، وتنتهي إلى نبذ المعرفة الرياضية بوصفها معرفة خاطئة أو على الأقل قابلة للخطأ "نبذت واعتقادا بأنني عرضة للخطأ مثل أي سواي، نبذت كل التي اعتبرها من قبل براهين صادقة بوصفها حججا خاطئا"[2] .

فهو يرى بأن العقل قد يخطئ حتى في أبسط قضايا الرياضية – الهندسة- كما ذهب إلى وجود شيطان ماكر مخادع يعبث كذلك بالعقل ويجعله يقع في الخطأ فيريه الصواب خطأ والخطأ صواب فيقول ديكارت:

"ربما كان شيطان ماكر مخادع يعبث بعقلي فيرني الباطل حقا والحق باطلا، ويجعلني بحيث أخطئ على الرغم مما قد يكون لدي من يقين نفسي" [3].

فبعد شكه في الرياضيات والأمور الفكرية بوجه عام ذهب إلى وجود شيطان ماكر يستخدم كل براعته في تضليله، على الرغم مما تظهر عليه معرفته من بداهة، وعجزه المطلق إلى الوصول إلى أي حقيقة.

---

(1) (2) رنيه ديكارت، حديث الطريقة، ت، عمر الشارني ص ص 159-160.

3 رنيه ديكارت، تأملات، ت عثمان أمين، ص 65.

## الشك في العقل

لقد استبعد "ديكارت" كذلك شهادة العقل نفسه، عندما قال بأن بعض الناس نجدهم قد يخطئون في الاستدلال ولو في أبسط القضايا الهندسية، من خلال قوله: "وما دام هناك أناس يخطئون عندما يستدلون، حتى وإن تعلق الأمر بأبسط مواضيع الهندسة"[1].

إن الخطأ المنطقي أو الرياضي فلأنه خطأ غير مقصودة، ولأن العقل لا يعيه ولا يتفطن إليه إلا بعد حصوله ومروره، إنه إذا خطأ في قالب الحقيقة، فهو يبدد مقاييس بين الحقيقة والخطأ، ويضيع السبيل في وجه العقل الذي تختلط عليه الأمور. وتكون كل حقائقنا التي تميزها يقينية مجرد نسيج من الأخطاء التي لم تتفطن إليها بعد، وتنتهي إلى نبذ المعرفة الرياضية بوصفها معرفة خاطئة أو على الأقل قابلة للخطأ "نبذت واعتقادا بأنني عرضة للخطأ مثل أي سواي، نبذت كل التي اعتبرها من قبل براهين صادقة بوصفها حججا خاطئا"[2] .

فهو يرى بأن العقل قد يخطئ حتى في أبسط قضايا الرياضية – الهندسة- كما ذهب إلى وجود شيطان ماكر مخادع بحيث كذلك العقل ويجعله يقع في الخطأ فيريه الصواب خطأ والخطأ صواب فيقول ديكارت:

"ربما كان شيطان ماكر مخادع يعبث بعقلي فيرني الباطل حقا والحق باطلا، ويجعلني بحيث أخطئ على الرغم مما قد يكون لدى من يقين نفسي" [3].

فبعد شكه في الرياضيات والأمور الفكرية بوجه عام ذهب إلى وجود شيطان ماكر يستخدم كل براعته في تضليله، على الرغم مما تظهر عليه معرفته من بداهة، وعجزه المطلق إلى الوصول إلى أي حقيقة.

---

(1) (2) رنيه ديكارت، حديث الطريقة، ت، عمر الشارني ص ص 159-160.

3 رنيه ديكارت، تأملات، ت عثمان أمين، ص 65.

# المبحث الثاني
# من الشك إلى اليقين

## من الشك إلى اليقين

إن مسألة البحث عن اليقين هي من المسائل التي شغلت اهتمام الإنسان منذ عصور وكان لكل فيلسوف طريقة للبحث عنها، ونجد أن "ديكارت" أبو الفلسفة الحديثة قد اتخذ الشك المنهجي للوصول إلى اليقين أو الحقيقة التي يبحث عنها وقام من خلال منهجه بالشك في جميع مصادر أحكامه ذلك أن نفسه قد تلقن مجموعة من الأحكام والمعارف في الماضي لابد من مراجعتها والتحقق من صدقها، كما ينبغي كذلك الشك في الحواس والخيال مهما بلغت قوتها، إذا أنها خدعته من قبل، ومن المحتمل أن يخدعه في المستقبل ولهذا كان الشك هو العزم على عدم الإلتزام بالأحكام سواء التي كانت صادرة عن تعاليم الماضي المتوارث أو عن الحواس أو الخيال .

كما يذهب ديكارت إلى الشك في البراهين الرياضية، لأن قضاياه قد تخطئ في بعض الأحيان، فكيف يمكن أن نثق أو نضمن يقين هذا العلم؟ وهناك من يخطئ حتى في أبسط قضاياه وهنا شك في العقل الذي ينتج عنه كذلك الخطأ كما ذهب إلى وجود شيطان ماكر يتلاعب بأفكارنا ويضلنا في أفكارنا أو أحكامنا.

ومن خلال هذه الموجة لشك شملت كل شيء في الفلسفة الديكارتية على المعارف المحسوسات: الخيال، الرياضيات وأبسط مسائلها، قادته هذه الموجة إلى وصوله إلى اليقين الذي كان يبحث عنه وأول يقين توصل إليه، فقد اتضح له أنه يشك ومادام يشك فهو يفكر، لأن الشك من ضروب التفكير، ومن خلال التفكير يثبت وجوده ونتيجتها "إثبات وجود الذات (الوعي) [1]، وبعد إثبات "ديكارت" لليقين الأول، دعامة الميتافيزيقا عنده وأصل الحق واليقين، ذهب إلى البحث في أفكاره التي تحضره حال التأمل فوجد أن في نفسه فكرة قوية تسيطر عليه ولا يستطيع منها الفكاك، هي فكرة "الكامل" أو "اللامتناهي" [2] فالله موجود حيث أثبت وجود الله من خلال إثباته لوجوده، فبعد أن أثبت يقين الأول هو وجود النفس الذي هو أصل اليقين، فما أقر من فكر هو محل صدق ويقين، فيقول: "حيث أنني موجود،

(1-2)، علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، مصر، الطبعة الأولى، سنة 1992. ص ص 53-54.

وفي نفسي فكرة عن الموجود الكامل أو اللامتناهي فالله موجود" فهذا كان لإثبات وجود الله"[1].

فكرة الكائن الكامل هي فكرة منطوية في النفس وموجودة فيها في إذن صادقة ويقينية أما اليقين الذي توصل إلى وجوده بعد هذا هو وجود العالم الخارجي. متخذا من اليقين الأول والثاني دعامتين يؤسس بهما هذا اليقين، وأن وجود الله هو الذي يضمن لنا وجود العالم الخارجي مع مراعاة أن العالم الخارجي (الواقعي) لا يمكن أن يكون على نحو ما يظهر أمام رؤيتنا العادية أي على نحو ما نتلمسه بحواسنا لأن الأحاسيس أفكار غامضة، تخدعنا ولا تؤدي إلى اليقين. وأن الضمان الإلهي هو الذي يرشدنا إلى الموجود الحق على الطبيعة، فلا يوجد في العالم الطبيعي سوى فكرة واحدة تتميز بالدوام، والتميز برغم تغيرات الصفات الحسية وهي فكرة الامتداد.

1 - رنيه ديكارت، تأملات، ص 198.

# المبحث الثالث
# توقف الشك في وجد الذات الإنساني

## توقف الشك في وجود الذات الإنسانية:

مر الشك عند ديكارت بعدد من الخطوات الأولى هي: التوقف عن الحكم على الأشياء ريثما يطمئن إلى صحتها، والنظر إلى العالم كأنه يطالعه للمرة الأولى، محاولا التعرف على الأشياء المادية المحسوسة التي أثبتت خداعها وبطلانها، محاولا النظر عن طريق ذاته التي تفكر، وفي اللحظة هذه اللحظة تمكن الفيلسوف من الوصول إلى حقيقة ثبوت الأنية [1]، أو الذات المفكرة التي يستحيل الشك فيها.

يرى ديكارت في أثناء حالة شكه فإنه يكون في حالة تفكير، بل يكون على يقين كامل من هذا الفعل الأخير أي التفكير، الذي يمارسه ذاتيا أي طبيعيا وتلقائيا.

ولو أنه حاول أيضا الإمعان في الشك، والتمادي في القلق، في مجرد عملية التفكير الذاتية التي يقوم بها فإنه حتى في هذه الحالة لن يستطيع قد أن ينكر حالة تفكيره حين يشك في أنه يفكر، وعلى أسوء الفروض فلو أخطأ الفيلسوف في تفكيره، فإنه يعد أيضا في حالة تفكير، وهي حالة تثبت حقيقة وجوده بما لا يدع مجالا للشك .

فبهذه الكيفية استطاع "ديكارت" أن يثبت وجود هويته أو ماهيته أو كونه يفكر فانطلق من هذا التفكير إلى إثبات ذاته المفكرة، وفي هذه الحالة فإنه يحاول إثبات مجرد شخصه المحسوس، والموجود في الواقع بصفته (إنسان) فحسب بل يحاول إثبات ذاته المفكرة التي توصل الفيلسوف على وجودها وفاعليتها، إلى عبارته الشهيرة التي عرفت بمبدأ "الكوجيتو"، الذي عبر من خلاله عن الميتافيزيقا الحقيقية التي تؤكد وجود الإنسان المفكر وتعلي من قيمة التفكير العقلي والتي تمثلت في عبارة "أنا أفكر فأنا أذن موجود "والتي تتولد عليها عدة نتائج بعد تحليلها.

إن الإنسان يفكر حيث كان موجود أو بمعنى أخر هو موجود من حيث كونه كائنا مفكر، أو موصوفا بصفة التفكير.

1 - جورج مدبك، ديكارت، دار الراتب الجامعية، لبنان،السنة 1992، [ب ط] ص 66.

إن الإنسان سرعان ما يدرك حقيقة كونه مفكرا، إذا يدرك الذهن هذه الحقيقة (التفكير) في لمحة سريعة، وبنظرة سريعة وذهنية، حدسية أي عن طريق الحدس الذي هو رؤية عقلية سريعة ومباشرة وكذلك في نتيجة ثالثة نستخلصها منه أن اللحظة الحدسية التي يعيشها الفيلسوف من خلال النظر إلى ذاته التي تفكر، لا تخضع لمنهج الشك، الذي طبقه على أجزاء فلسفته برمتها، إنها لحظة تستوقف الشك وتصمد أمامه، لأنها برهة صدق ووضوح كامل، لحظة إدراك الإنسان لذاته المفكرة، هذا الإدراك يتم فكريا، بهدف إدراك الفكر أيضا ليؤكد في النهاية وجود الإنسان الذي يفكر لأنه موجود.

أما النتيجة الرابعة المستخلفة منه أن هذا اليقين الأول الذي حلله الفيلسوف ببراعة ودقة كاملتين، وقد انبثق من الإطار العام لفلسفة ديكارت العقلية ابتداء من الفكر وانطلاقا إلى وجود الذات، وثبوتها، الذي تفرع منها عدد كبير من المسائل كالتمييز الحاسم بين نفس الإنسان وجسده، والتوصل إلى أن الفكر هو جوهر النفس، والامتداد جوهر المادة، وأن الكمال هو جوهر الله الكائن الكامل اللامتناهي.

# المبحث الرابع
# توصل ديكارت إلى اليقين

## اليقين الأول: وجود النفس.

لقد شملت موجة الشك لدى "ديكارت" جميع الأشياء ولم يستثني شيء لم يدرجه ضمن هذه الموجة، فنجد هناك صخرة صلبة اصطدم بها الشك فلم يقوا عليها وهي الذات فمحاولة "ديكارت" لإثبات النفس هي محاولة لإثبات الذات، وقد توصل إليها من خلال الشك نفسه فكون الإنسان يشك يفيد أنه يفكر، وكونه يفكر يفيد ثبوت أنيته، فنجده يقول: "غير أنني سرعان ما تفطنت بعد ذلك إلى أنني إذا كنت أسعى هكذا إلى التفكير بأن كل شيء خاطئ، فإنه من الضروري حتما أن أكون أنا الذي فكرة ذلك، شيئا ما، ولما رأيت أن هذه الحقيقة!

أنا أفكر، إذا فأنا كائن، على نحو من اليقين والثبات، بحيث لا تستطيع أن تزعزع أكثر افتراضات الربنيين شططا، حكمت بأنني أستطيع قبولها دون تحفظ، بوصفها أول مبدأ للفلسفة التي كنت أبحث عنها" [1].

فمن خلال الشك توصل "ديكارت" إلى أنه يفكر لأن الشك ليس سوى عملية من عمليات التفكير التي يقوم بها، ومن خلال التفكير نفسه وصل إلى أنه موجود، وهنا ظهرت مقولته الشهيرة "أنا أفكر، أنا موجود"، فالشك ليس إلا ضرب من ضروب المعرفة أو التفكير، فهو ليس هدما للحقيقة كما يفهمه الربيون، بل هو ليس إلا وجهها الخلفي إن صح التعبير ويتضح ذلك من خلال قوله: "ولكن ما أنا إذا؟ شيء يفكر، وما هو الشيء الذي يفكر؟ إنه شيء يشك، ويتصور، ويثبت ويريد ولا يريد ويتخيل أيضا ويحس..."[2] وبهذا يتضح أن الرأي أو الحل الديكارتي مخالف للربيين. إذ أن الربيين كانوا يرون أن كل إثبات يحتمل نفيا، ويحمله بين طياته، فحين أن "ديكارت" يختلف عنهم بإظهاره أن في كل نفي إثباتا فديكارت يرى بأن الفكرة أو الحقيقة الأولى التي يخرج بها من دائرة الشك لنؤسس بها ميدان اليقين ليست فكرة ككل الأفكار، هي ليست سوى التفطن إلى أن الشك شيء أو عملية، وأنه وعي، لفكر بذاته من خلال قيامه بتلك العملية، فهي وعي الفكر بذاته، فهي بالنتيجة تفكير الفكر، أي أنها تفكير التفكير، أو فكر الفكر.

---

[1-2] ديكارت، حديث الطريقة، ت.عمر الشارني ص ص 161 166.

فالكو جيبتو "أنا أفكر، أنا موجود". فما هو هذا الوجود الذي أدركه واعتبره بمثابة اليقين الأول الذي لا يمكن الشك فيه؟ وهذا الوجود ليس وجودا جسمي بل هو وجود فكري، فأنا الآن أعلم نفسي أنني موجودا مفكر ولا أعلم إن كنت شيء أخر غير أنني موجود مفكر فيقول: "فأنا مفكر، بمعنى أني موجود يتعقل ويشك، ويثبت وينفي ويريد ولا يريد ويتخيل ويحس أيضا"[1] ، فكل هذه الظواهر النفسية تفيد الفكر، لأنها تشترك جميعا في أننا ندركها مباشرة في أنفسنا وأن اليقين الآن هو في ثبات الذات المفكرة أصبح حقيقة لا يمكن الشك فيها، بحيث يمثل الفكر هنا التقاء النفس بذاتها فهو ليس معرفة يمكن الشك فيها، لأن المعرفة لا تنفصل عن ذاك الموضوع، فالفكر الذي يلج هنا ميدان المعرفة لا يعرف فيها: لا ذاته بحيث تكون الذات والموضوع شيئا واحدا.

كما يرى بأن الفكر متميز عن البدن الخاص، وعن الأجسام عموما بل أن وجود الفكر أشد وثوقا من وجود الجسم، وعن الأجسام عموما، فالفكر أعرفه بالفكر نفسه، أما الأجسام فلست بمستطيع إدراكها إلا بالفكر وفي الفكر، فمعرفتي بالنفس معرفة مباشرة يقينية على عكس الجسم فيقول: "لأننا حين نفحص عن ما هيتنا نحن اللذين نفكر الآن في أنه ليس خارج فكرنا شيء هو موجود حقا، نعرف جليا أننا نحتاج لكي نكون موجودين إلى أي شيء أخر يمكن أن يعزي إلى الجسم وإنما وجودنا بفكرنا وحده، وإذا ففكرتنا عن نفسنا أو عن فكرت سابقة على فكرتنا عن الجسم وهذه الفكرة أكثر يقينا، بالنظر إلى أننا لا نزال نشك في وجود أي جسم في حين أننا نعرف على وجه اليقين أننا نفكر"[2] فالكوجيتو "فأنا أفكر، أنا موجود" تعني أنني أدرك وجود ليس وجودا واقعيا جسميا بل وجود فكري صوري فهو موجود حين يفكر ولا يدري شيئا عن العالم حوله، لكونه موجودا يفكر لا يعلم شيئا عن وجود أي عالم واقعي خارج فكره إنما كل ما يعلمه يقينا هو أن إثبات الذات المفكرة أصبح حقيقة لا يدخلها أدنى شك، كما أن إدراك الإنسان لحظة وجوده لعالم فكري خالص واقتران هذا الوجود بدوام التفكير، وما يستتبعه من حالات خاصة بالجسد كالعواطف والانفعالات والأحاسيس، إنما يفيد

[1]- ديكارت، حديث الطريقة. ت عمر الشارني ص 163.
2- علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة ص 54.

فصلا حاسما وتميزا وصفي بين النفس والجسد، فالفكر يدرك بالفكر ذاته، بينما يدرك الجسد إلا عن طريق الفكر.

إذن فالفكر يعبر عن طبيعتيه كلها: هو ماهيتها وصفتها الذاتية فلست فكرا ولا شيئا مما ينطوي في فكرته على الامتداد، فالفكر لا يشمل على الامتداد. كما أن الامتداد لا ينطوي على شيء من الفكر، فالفكر له جوهر روحي أو هو مبدأ خاصيته التفكير فيقول: لما كان لي أي داع للاعتقاد بأنني كنت، عرفت من ذلك أنني كنت جوهرا، لا تتمثل كل ماهيته أو طبيعته إلا في التفكير ولا حاجة له كي يكون بأي مكان ولا يرتبط بأي شيء مادي، بحيث إن هذا الأنا، أي النفس التي أنا بها متميزة تماما عن الجسم، وأكثر من في ذلك فهي أيسر منه على المعرفة" [1].

أما الجسم فهو جوهر مادي خاصيته الامتداد، أما هذا الفكر الذي هو ماهيته الجوهر الروحي هو ما عنده كل ما يجري فينا بحيث ندركه بأنفسنا وهو يكون أحيانا فهما وأحيانا شهوة وأحيانا ثالثة إرادة، أما الفهم فيشتمل على المعاني الثلاثة التالية:

معاني تولد معنا تشير إلى استقلال الفكر وفطرته.
معاني حسية من عمل التجربة والحواس
معاني وهمية من عمل الوهم والخيال [2].

وأما الشهوات فهي عنده كل إدراك أو عاطفة أو انفعال يتصل بالنفس وكما أن لها علتان نفسية وجسمية، وهناك شهوات أولية تشتق منها باقي الشهوات وهي الدهشة والحب والبغض والرغبة والفرح والحزن.

وتبقى الإرادة وهي المظهر الأخير من مظاهر الجوهر الروحي، وهي تظهر في الحكم، فالإرادة هي التي تستطيع أن تكون أحكامنا نثبت فيها أو ننفي.

---

[1]- ديكارت، حديث الطريقة، ت عمر الشارني. ص ص 169-173.
2- علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة ص 55.

## الفرق بين الجوهر الروحي والجوهر المادي:

فماهية الجوهر الروحي هي الفكر، بينما ماهية الجوهر المادي هو الامتداد فقد ميز "ديكارت" بين عالمين يحكمان بواسطة قوانين مختلفة فنجده يقول: "ولكن رغم أن كل صفة من الصفات تكفي للتعريف بالجوهر، فإن هناك واحدة في كل جوهر تمثل طبيعته وماهيته، وعنها تتفرع كل الصفات الأخرى وهكذا فإن الامتداد في اتجاه الطول والعرض والعمق يمثل طبيعة الجوهر المادي، والتفكير يمثل طبيعة الجوهر المفكر..."[1] فميز ديكارت بين هذين الجوهرين، مما يجعل لكل منهما خصائص مختلفة كل الاختلاف عن الأخر لكن هذا التمايز لا يمنع من اتحاد جوهر النفس والبدن، والذي أد به إلى القول الاتحاد بينهما هو الدوافع التي تدور حول وجود الفكر التخيلي فينا وعلى الأخص في وجود الشعور وهذا من أهم ما حمله على القول بالاتحاد بينهما والقول بأن النفس متحدة اتحاد جوهريا ووجوديا مع الجسد، وأن الإنسان من حيث هو مركب من نفس وجسد كائن بذاته لا بالعرض، كما ذهب إلى القول بأن النفس تفكر وأنها من اتحادها بالجسم فهي تعمل وتحس معه . كما أنهما يعبر عن اتفاقهما من خلال قوله "وأقول حين أفكر هكذا أرى أن التذهنين متفقان في أن كليهما يمثل جوهر"[2] . فهما متفقان من حيث أن كل منهما يعتبر جوهرا.

1 - ديكارت، حديث الطريقة، ت د. عمر الشارني ص 171.
2 - ديكارت. تأملات ميتافيزيقية، ت عثمان أمين. ص 118.

## اليقين الثاني: وجود الله.

لقد توصل "ديكارت" من الشك المنهجي إلى إثبات أنيته كجوهر مفكر، فالأنا التي أثبت وجود استنبطها، من حقيقة كونه كائنا يفكر ومن ثم ذهب إلى أنه يكون موجودا حين يفكر، فإذا توقف عن التفكير توقف عن الوجود، فأن شيء يفكر بعد هذا بدأ في البحث في أفكاره التي تحضره حال تأمله فوجد نفسه أوفي نفسه فكرة قوية تسيطر عليه، ولا يستطيع منها فكاك هي فكرة "الكامل" أو "اللامتناهي" فيقول في كتابه التأملات: "قلت إن هذه الفكرة عن موجود، مطلق الكمال لا متناه، هي فكرة صحيحة"[1].

ويقول أيضا: "بل أتذهن اللامتناهي بفكرة حقيقية مادامت بالعكس، أرى بجلاء أن في الجوهر اللامتناهي وجودا، أكثر مما في الجوهر المتناهي: وبالتالي أرى أن فكرة اللامتناهي سابقة عندي لفكرة المتناهي، أني أن الله سابق لذاتي، وإلا كيف أعرف أني أشك، وأرغب، وأعني أن شيئا ينقصني، وأني لست كاملا كل الكمال، لو لم يكن لدي فكرة عن كائن هو أكمل من كياني، أعلم بالقياس إليه ما في طبيعتي من عيوب"[2].

فيرى "ديكارت" أن من خلال وجوده وفي نفسه فكرة عن الموجود الكامل اللامتناهي فالله موجود، كما أن لا يمكن أن يكون مصدر فكرة الكائن الكامل ولما كان لكل معلول لا بد له من علة تصدر عنه، وبما أنه موجود متناه، كما أنه ليس مصدر هذه الفكرة فكل ما يوجد خارج نطاقه، له علة أسمى منه هي الله، فإذن الله موجود، فيقول: "حتى لو جاز لي الافتراض أنني كنت دائما موجودا، كما أنا الآن، فلا مفر من التسليم بضرورة كون الله خالق وجودي"[3].

فبما أن الكائن متناه وناقص، فلا يمكن أن يكون اللامتناهي، فإمكانية الموجود المتناهي على تصور فكرة الموجود المتناهي، هي من مسلمات فكرتي عن نفسي باعتباري موجودا محددا أو متناهيا، لأن ما هو متناهي يقتضي ضمنا ويرى ديكارت أنه إذا ما قمنا بإثبات وجود الله عن طريق بديهية الكلية فينبغي علينا كذلك أن نطبق هذه البديهية على ماهية الله، في حالة إذا ما تصورنا الله كعلة لماهيته فحسب. ومن ناحية أخرى يؤكد "ديكارت" أن الشك نقص لأنه قصور عن بلوغ الكمال، بما أننا موجودات ناقصة، فيتعين على هذا الأساس تصور موجود

(1-2-3) ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، ت عثمان أمين ص ص 121- 122.

تكامل وهو الله فيقول: "ولما رأيت بعد ذلك أني تعرضت إلى الشك، وأني تبعا لذلك لست كائنا على غاية الكمال، إذ من الواضح أن المعرفة أكثر كما من الشك، أردت أن أبحث عما جعلني أفكر في شيء أكثر كمالا مما كنت عليه"[1] أي بعد توصله إلى المعرفة اليقينية بحث عن مصدر الذي أتته منه هذه المعرفة، أو فكرة الكمال، فتوصل إلى أنه يوجد حقا كائن أكثر كمالا منه هو الله.

فأيا كانت معرفتنا بشيء ما أكثر كمالا من نفسه، لا يمكن أن نؤلف وجوده الشخصي، فمن الواضح أنه لم يكن حائر على هذه المعرفة، ولو كان الإنسان مصدرها لوهبت لنفسه كل الكمال، ولطالما هو عاجز عن منح نفسه هذا الكمال فهو يستمد وجوده من غيره، والذي يستمد وجوده منه إن لم يكن هو الكامل فسيحتاج إلى غيره بمنحه الوجود وهكذا فلا بد أن نصل إلى كائن كامل لا متناه وهو الله فيقول: "ولكن من حيث أننا نعلم أننا عرضة لكثير من النقص وأننا لا نملك هذه الكمالات المطلقة التي تتمثلها، فيلزمنا أن نستنتج أنها موجودة في طبيعة مختلفة عن طبيعتنا، بالغة غاية الكمال، أي هي الله، أو على الأقل أنها كانت في الله من قبل، وبما أنها لا متناهية فلا بد أنها لا تزال قائمة فينا"[2] .

حيث يؤكد لنا أنه إذا ما كنت أنا علة وجودي الخاص، فإنني قد أكون علة فكري الكمال المائلة في عقلي، ولكي أكون أنا علة فكرة الكمال هذه وجب أن أكون أنا بذاتي كاملا، ولما كنت موجودا ناقصا، فإن العلة في وجودي وكذلك العلة في فكرتي عن الكمال خارجا عن ذاتي وهو الله.

ويذهب "ديكارت" في الأخير في إثباته لوجود الله إلى أن فكره الكائن الكامل موجودة في أنفسنا فيقول: "ولاهي اختراع ذهني أو مجرد وهم لأنني عاجز عن أن أنقص منها شيئا أو أزيد عليها، لا يبقى لي إلا القول بأن هذه الفكرة ولدت، ووجدت معي منذ خلقت،كما ولدت الفكرة التي لدي عن نفسي"[3] ففكرة وجود الله هي مفطورة فينا، وبهذا يكون قد أشار الفيلسوف إلى أولية فكرة هذا الوجود وسبقها في نفوسنا أو حدسنا.

1 - ديكارت، حديث الطريقة، ت. عمر الشارني ص ص 178-180.
2 - علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة ص ص 61-62.
3 - ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، ت عثمان أمين، 120.

## اليقين الثالث: وجود العالم

بعد أن توصل "ديكارت" إلى إثبات حقيقة وجود ذاته المفكرة، أي وجود أنيته باعتباره جوهرا مفكرا، ثم إثباته وجود الله كحقيقة يقينية متسامية. يمضي "ديكارت" إلى محاولة إثبات وجود العالم الخارجي، إن وجود الله هو الذي يضمن لنا وجود العالم الخارجي، ولقد واصل "ديكارت" طريق في تحقيق مطلبه الثالث، بنفس المنهج السابق، متخذا من اليقين الأول والثاني دعامتين يؤسس بهما وجود العالم الخارجي، ويرفض "ديكارت" الاعتماد على الحواس كمصدر للمعرفة، ويطالبنا باستخدام نور العقل الفطري في التمييز بين الأشياء الخارجية الفيزيائية، ويقدم لنا "ديكارت" مثال الشمعة في (مجال معرفة الأشياء الخارجية)، بحيث يوضح لنا بمقتضاه ماهية الأشياء المادية وطبيعتها فيقول: "لا بد من التسليم بأنه ليس في مقدوري أن أدرك بالخيال ماهية هذه النقطة من الشمع وإنما الذي يدركه ذهني وحده هو الامتداد"[1] فإن ما نعرفه عن الشمعة ليست الصفات الظاهرية التي ندركها بالحواس كاللون والرائحة مثلا، حيث أن هذه الصفات قد تلاشت من الشمعة نتيجة الحرارة والذي يظل من الشمعة وما ندركه فيها إدراكا واضحا ومتميز هو امتدادها فالذي حدث لقطعة الشمعة أنها تحولت إلى امتداد، وزالت عنها خواصها التي تغيرت، وأصبح بفعل الحرارة مجرد امتداد، وليس الامتداد الحسي الذي يتمثل بالحواس والخيال، بل هو الامتداد الذهني، أي المجرد وما يدركه الذهن من ماهية الشمعة، وعلى هذا الأساس فإنا الامتداد هو ميزة الأشياء المادية الخارجية التي تشكل العالم الخارجي. فالامتداد هو جوهر المادة أو الأجسام، بينما تكون مظاهره التي تدرك بالحواس ونتعرض لتغير دائم كاللون والطعم والرائحة، هي الصفات الثانوية، وهي لا تملك وجودا موضوعيا في ذاتها بل وجود ذهن فحسب.

ومن هنا يتبين لنا أن الحواس قاصرة على تزويدنا بالمعرفة الحقيقية عن العالم المادي، بل تعتمد معرفتنا لهذا العالم. على مبدأ الأفكار الواضحة المتميزة، وليؤكد على أن الأفكار المتمثلة في أذهاننا تعبر عن أشياء واقعية بالفعل يلجأ "ديكارت" إلى الله كضامن لحقيقة هذه الأفكار، لأنه من غير الممكن أن تخدعنا وتضللنا الأفكار التي أودعها الله فينا.

1 - علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، ص 66.

أي أن يتجلى الضمان الإلهي الذي يكفل لأحكامنا القائمة على الوضوح والتميز نصيبها من الصحة واليقين، فالله يصبح هو الضمان الأسمى لإدراكاتنا الصحيحة، فلا يجوز أن نخطأ، ولو لمرة واحدة ما دمنا معتصمين بالفكر الواضح المتميز، ولأن من طبيعة الله ألا يخدعنا لمرة واحدة لأنه مصدر اليقين المطلق فإن أحكامنا تصبح صحيحة لأنها مكفولة بالضمان واليقين الإلهي.

كما يرى أن العالم الفيزيائي يتصف بأنه يخضع لنظام صارم أو هو محكوم بقوانين آلية، ومعرفتنا بالله لا تؤهلنا لملاحظة هذه القوانين التي تسيير هذا العالم لأن هذه المعرفة يمكن أن تتحقق عن طريق الأبحاث العلمية.

ولقد اعتبر "ديكارت" أن المادة حركاتها تظل ثابتة في المكان فحجم المادة وكمية الحركة في العالم ثابتة، بل ما يبدو وأن المادة تتمدد فحسب، وبهذا لا يمكن أن تزيد أو تنقص كمية الحركة الإجمالية في العالم، كما أن "ديكارت" قد اعتبر سائر أجسام الكائنات الحية مجرد آلات. ولما كانت الحيوانات خالية من الشعور والوعي فهي تمارس عملها كالأت ألية الحركة، وتخضع لنظام العالم المادي، بحيث تتحكم فيها قوانين الفيزياء، عدا الإنسان لأن لديه النفس التي ينفرد بها عن سائر الحيوانات.

## الخلاصة:

مما سبق يتبين لنا أن "ديكارت" قد حاول الوصول إلى اليقين عن طريق استخدام منهج الشك، ذلك المنهج المؤقت الذي كان يهدف منه إلى بلوغ الحقيقة في جميع المعارف والعلوم الإنسانية، التي أصبحت في نظر "ديكارت" موضوع شك ومحل شبهة.

# الخاتمة

## الخاتمة:

كان لظهور منهج الشك الديكارتي وليد فلسفته العقلية، التي سايرت روح عصره وكان منهجه مغايرا لما سبقه من أفكار، فانبثق الشك عنده كوسيلة مؤقتة لتحرير العقل من سيطرة الأفكار والنظريات السابقة، فقد انتهج الشك المؤقت إلى حين بلوغ الحقيقة أو اليقين، مخالف لمرحلة الشك التي كانت سائدة قبله والتي جمدت العلم وأضعفت من شأنه، عكس منهج الشك الديكارتي الذي رد إلى العقل سبقه واحترامه وتقدم في نوره الفطري نحو التجديد والنهضة من حيث أنه شك مؤقت يظل مستمر حتى يتيقن الإنسان من أفكاره قد بلغت حدا فائقا من الدقة واليقين وأنه لا يلابسها أدنى شك فكان الشك لديه شك بناء وليد تجربة شخصية عقلية، حيث وجد أمامه تراث فلسفي وعلمي وديني، كثرت حوله الأقاويل وتعددت بصدده المذاهب فلم يجد شيئا يطمئن إليه بصفة مطلقة، فاصطنع الشك منهجا لبلوغ اليقين في جميع ما يحيط به من معارف ونظريات.

هذا هو "ديكارت" الذي بدأ أمام هيجل مفكرا ثائرا ورائدا من رواد الثورة الحديثة فأراد أن يحرر الفكر الخالص، وأن يدعوا إلى اليقين العقلي، وكانت الفلسفة من قبل تخضع لسلطة القدماء والكنيسة، فجاءت الفلسفة الجديدة، فلسفة للوعي والحرية والإنسانية وكان العلم الحديث في نظره وسيلة لسيطرة الإنسان على الطبيعة.

# قائمة المراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**

**المصادر:**

أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، د. جميل صليبة، كامل عياد، مكتب النشر العربي، لبنان، [د ط]، سنة 1934.

رنيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، تر: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1977.

رنيه ديكارت، حديث الطريقة، تر: عمر الشارني، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، السنة 2008.

**المراجع:**

إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، [د ط]، سنة 2000.

أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، دار المصرية السعودية، القاهرة، [د ط]، سنة 2006.

جورج مدبك، ديكارت، دار الراتب الجامعية، لبنان، [د ط]، سنة 1992.

راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، دار النهضة العربية، لبنان، [د ط]، سنة 1996.

راوية عبد المنعم عباس، صفاء عبد السلام جعفر، مذاهب الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، [د ط]، سنة 2003.

الشيخ كامل محمد محمد عويضه، ديكارت رائد الفلسفة الحديثة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1993.

علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، مصر، الطبعة الأولى، سنة 1992.

محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، [د ط]، سنة 1996.

**الموسوعات:**

يوسف فرحات، موسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ترادكسن شركة مساهمة سويسرية، جنيف، الطبعة الأولى، سنة 1986.

# الفهرس

الفهرس:

الإهداء.

الشكر.

المقدمة.

**الفصل الأول: ديكارت وبداية التقدم الفلسفي الغربي الحديث**

المبحث الأول: نبذة عن حياة ديكارت.

المبحث الثاني: كرونولوجيا الشك ومفهومه

المبحث الثالث: تأثر ديكارت بالفلاسفة المسلمين "الغزالي نموذجا".

المبحث الرابع: مفهوم الشك.

**الفصل الثاني: المنهج الديكارتي.**

المبحث الأول: دور الرياضيات في تأسيس المنهج الديكارتي.

المبحث الثاني: قواعد المنهج الديكارتي.

المبحث الثالث: أسس المنهج الديكارتي.

المبحث الرابع: مميزات المنهج الديكارتي.

**الفصل الثالث: ديكارت من الشك إلى اليقين.**

المبحث الأول: الشك عند ديكارت.

المبحث الثاني: من الشك إلى اليقين.

المبحث الثالث: توقف الشك في الذات الإنسانية.

المبحث الرابع: توصل ديكارت إلى اليقين.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.